

شذرات خمينية – العدد الخامس

هوية الكتاب

اسم الكتاب: ..شذرات خمينية العدد الخامس

إعداد: .. دار الولاية للثقافة والإعلام

الطبعة:..... الأولى، سنة: ١٤٣٥هـ

شذرات خمينية قدسية

العدد الخامس

- * مواضع القدوة الصالحة في شخصية الإمام الخميني قدس سره
- * وثائق تحكي العلاقة بين السيد الشهيد الصدر والإمام الخميني

رحمهما الله

* الخميني... موسيقى الملكوت - شعر

* عوامل القدوة في شخصية الإمام الخميني قدس سره

إعداد: دار الولاية للثقافة والإعلام

السلامة

الإمام الخامنئي:

إننا نعلن أمام جميع الشعوب وبكلّ صراحة أنّ فكرة انتهاء عصر الإمام الخميني والتي يطرحها العدو بمئات الأساليب والتعابير، إنما هي خداع ومكر استكباري لا غير، وأنّ الإمام الخميني سيبقى رغم أنف أمريكا وأعوانها بين شعبه ومجمعه حاضراً بكلّ قوّته، وأنّ عصر الإمام الخميني مستمرّ وسيبقى مستمراً دائماً:

نهجه نهجنا

وهدفه هدفنا

وإرشاداته المشعل الوضّاء الذي يضيء لنا السبيل.

مواضع القدوة الصالحة

في

شخصية الإمام الخميني (قدس سره)

الشهيد آية الله السيد محمد باقر الحكيم (ره)

المقدمة

عندما يتحدث الإنسان عن القدوة الصالحة وأثرها الروحي والاجتماعي ويكون أمامه نموذج صالح لهذه القدوة وهو الإمام الخميني (ره) يشعر بالحرج والرهبة حيث لا يكون الإنسان أمام تجربة طرح المفاهيم والأفكار فحسب، وإنما يكون الإنسان أمام معالجة تأثير هذه الأفكار والمفاهيم في النفس الإنسانية من خلال مدى تجسيدها في الواقع المعاش لهذا الإنسان وأهمية هذا التجسيد في حياته والذي يعتبر من اشد القضايا تعقيداً وأكثرها عناءً في حياة الإنسان؛ لأن هذا التجسيد هو الذي يمثل الجهاد الأكبر في الحياة الإنسانية (جهاد النفس)^١.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^٢.
﴿وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾^٣.
وَيُمَثَلُ بِالتَّالِيِ الْقِيَمَةَ الْحَقِيقِيَّةَ لِلْإِنْسَانِ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ الَّتِي كَرَّمَهُ

^١ عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: إن رسول الله (ص) بعث سرية فلما رجعوا قال: مرحباً بقوم قضاوا الجهاد الأصغر، وبقي عليهم الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله (ص) وما الجهاد الأكبر؟ فقال: جهاد النفس.

^٢ سورة الشمس، الآية: ٩ و ١٠.

^٣ سورة العصر.

بها على سائر مخلوقاته.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^١.
 ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^٢.

ولذا سوف اكتفي بطرح بعض الملاحظات حول القدوة ودورها في عملية البناء الاجتماعي. ثم بعض مواضع القدوة في سلوك إمام الأمة قدس سره، ولفترات سريعة حول بعض ما لاحظته عن قرب في شخصية هذا الإمام باعتبار أن الإمام قدس سره أفضل قدوة نعيشها في هذه الأيام.

القدوة ودورها في عملية البناء

منهج القرآن في التغيير الاجتماعي

لقد اتبع القرآن الكريم والإسلام العظيم في عملية التغيير التي مارسها تجاه المجتمع الإنساني منهجين أساسيين:
 أحدهما: منهج مخاطبة العقل والإلفات إلى مختلف الظواهر القائمة في عالم التكوين سواء فيما يتعلق بالظواهر السماوية والأرضية، أو التي تختص بالنفس الإنسانية، أو السنن التي تتحكم

^١ سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

^٢ سورة الحجرات، الآية: ١٣.

في تاريخ الإنسان ومسيرته التكاملية التي يمكن للعقل الإنساني أن يدركها ويفهمها، وذلك من أجل أن يرسم للإنسان الطريق الصحيح المستقيم نحو الكمال والسمو.

فقد اعتبر القرآن العقل الإنساني الدليل الذي ينبع من الذات والمرشد الأول للإنسان في مسيرته في هذه الحياة واعتبره أساس الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة.

عن أبي جعفر^١ (ع) قال: (لما خلق الله العقل استنطقه وجعله أساس الثواب والعقاب ثم قال له: أقبل، فأقبل، ثم قال له: أدبر، فأدبر. ثم قال: ما خلقت خلقاً هو أحب إليّ منك ولا أكملتك إلا فيمن أحب أما أني إياك أمر وإياك انهي وإياك أعاقب وإياك أثيب)^٢.

وأكد القرآن على دور ذوي العقول والألباب وعلى منهج التدبر والتفكير في الوصول إلى الحقيقة.

الثاني: مخاطبة الوجدان الذي أودعه في فطرته وهو تلك الإحساسات الفطرية التي يتجه إليها الإنسان ويرى فيها موازين الكمال والنقصان والسمو والسقوط... والتي يشعر الإنسان دائماً تجاهها بجاذب الحب والبغض أو المدح والذم أو الحسن والقبح

^١ هو الإمام محمد بن علي بن الحسين المعروف بالباقر خامس أئمة أهل البيت.

^٢ أصول الكافي ١٠/١، راجع بهذا الصدد الحديث ١٤ من كتاب العقل والجهل ج ٢٠/١ فإنه يفى بالمقصود.

فالإنسان يميل إلى العدل والإحسان والإيثار والشجاعة... ويحب هذه الصفات ويبغض الظلم والكفر والاستئثار والجبن... وينفر منها. ومن أجل أن يوجه القرآن الكريم والإسلام العظيم الإنسان نحو مراتب الكمال، ويبعده عن التردّي والنقصان يؤكد على هذه المعاني الفطرية السامية، ويبيّن له مصاديقها ومعالمها وحدودها، لئلا تختلط عليه الأفراد والصور، ويبعده عن مواضع السقوط والتردّي، ويشخص له مواردها وأفرادها.

وهذا يمثل العنصر الثاني في الهداية الذاتية للإنسان، والذي رسم معالمه القرآن الكريم اعتماداً على وجود هذا الميل والاتجاه في المعرفة الإنسانية في داخل الإنسان.

عوامل مؤثرة على إرادة الإنسان

وإلى جانب ذلك كله جُبل الله الإنسان على غرائز ورغبات وزين له الشهوات:

﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾^١.

بحيث أصبحت هذه الأشياء وغيرها عوامل مؤثرة على إرادة الإنسان ومسيرته؛ لأنها تمثل في هذا الإنسان حاجاته المادية

^١ سورة آل عمران، الآية: ١٤.

والمعنوية، والطاقة المحركة في داخل الإنسان التي تدفعه نحو التكامل الدنيوي والأخروي إذا كانت ضمن الحدود التي رسمتها الشريعة، ولكنها في نفس الوقت تمثل خطراً على مسيرة الإنسان عندما تتجاوز الحدود التي وضعها الله لهذه الحاجات، حيث تجذبه أو تدفعه نحو السقوط في الهاوية، وتشده نحو الأرض وتكبله بالقيود والأغلال عندما يتحول إلى أسير لها، شأنها في ذلك شأن المحروقات التي يحتاجها المحرك ولكنها قد تتحول إلى عامل مدمر للمحرك نفسه عندما تتجاوز الحدود المقررة للاستفادة منها.

هذه العوامل التي يسميها القرآن الكريم بالهوى إذا تحولت إلى إله يتبعه الإنسان ويسلم له قياده تصبح شيئاً مدمراً لحياته.

﴿وَأَنْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبِعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ، وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكَهُ يَلْهَثُ﴾^١.

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زِينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾^٢.

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا يَرَىٰ﴾

^١ سورة الأعراف، الآية: ١٧٥ و ١٧٦.

^٢ سورة محمد، الآية: ١٤.

تَذَكَّرُونَ!١

وبذلك ازدادت مسيرة الإنسان تعقيداً ومعاناة، حيث وجد إلى جانب ذلك الميل الفطري نحو الكمال هذا العامل الغريزي المؤثر في الإنسان من خلال الإحساس بالحاجات من جانب والطغيان في الانسياق مع هذا الميل والهوى، الدافع له نحو الهاوية من جانب آخر.

وأصبح أمام الإنسان أن يوفق بين هذين العاملين: الميل الفطري والحاجة الغريزية، ويتبين موضع أقدامه في مسيرته الطويلة حتى يحقق الكمال.

وقد اهتم القرآن الكريم والإسلام العظيم برسم معالم المسيرة أمام الإنسان وهدايته نحو أهدافها، وبعث الله الأنبياء والرسل لتحقيق هذه الهداية.

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^٢.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾^٣.

^١ سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

^٢ سورة الجمعة، الآية: ٢.

^٣ سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

وهذه الهداية الإلهية تمثل الهداية الثالثة التي جاءت للإنسان من خارج ذاته والتي يتفضل بها الله على عباده بالإضافة إلى العقل والفطرة.

فدمنة القدوة في منهج التغيير الاجتماعي

ولكن بالرغم من ذلك تبقى أمام الإنسان مجموعة من المشاكل الدقيقة كانت بحاجة إلى التوضيح والإبانة، حتى يكمل مسيرته. وإزاء هذه المشاكل تبرز (القدوة) و(الأسوة) كأحد العوامل المهمة في تحقيق هذا الهدف وحل هذه المشكلات.

فالمشكلة الأولى، والتي هي مشكلة (عقلية): أن المفهوم الذي يريد أن يقدمه الإسلام قد يكون واضحاً، ولكن الموقف العملي الذي ينسجم مع المفهوم قد يعتره شيء من الغموض بحيث يكون بحاجة إلى التشخيص والوضوح من خلال ممارسة عملية خارجية تشخصه وتبينه، وهنا يأتي دور القدوة الصالحة التي تجسد الموقف الصحيح الذي يتناسب مع الظروف والشروط الموضوعية والمنسجم مع المفهوم الإسلامي.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلا إِنَّا نَصُرُ اللَّهَ قَرِيبٌ﴾^١

^١ سورة البقرة، الآية: ٢١٤.

فالمسلمون الذين واجهوا فكرة اقتران النصر بالمحنة والابتلاء بالبأساء والضراء والصبر عليهما كانوا بحاجة إلى القدوة والأسوة العملية في التاريخ، فجاء هذا الإلفات القرآني لذلك من خلال هذه الآية وأمثالها، وبيان مصاديقه في قصص الأنبياء لتجسيد هذا الموقف.

وقد ورد عن عبد الملك بن عمرو قال: قال لي أبو عبد الله (ع)، يعني (الصادق) يا عبد الملك ما لي لا أراك تخرج إلى هذه المواضع التي يخرج إليها أهل بلادك؟ قال قلت: وأين؟ قال: جدّة وعبادان والمصيصة وقزوين، فقلت: انتظاراً لأمركم والاقتراء بكم. فقال: أي والله لو كان خيراً ما سبقونا إليه. قال قلت له: فإن الزيدية يقولون بيننا وبين جعفر خلاف إلا أنه لا يرى الجهاد. فقال: أنا لا أراه؟! بلى والله إنني لأراه، ولكني أكره أن ادع علمي إلى جهلهم.

الثانية: مشكلة روحية ونفسية: فالإنسان قد يكون له الوضوح الكامل في الطريق ومعالمه ولكنه يشعر بالضعف والعجز في كثير من الأحوال، ويتلكأ ويسقط في الطريق نتيجة لذلك لو لا العناية الإلهية. ومن هنا فهو يحتاج إلى من يشق الطريق أمامه، ليكتسب الشجاعة اللازمة والمعنويات العالية في اقتحامه لهذا الطريق الشائك. ويأتي هنا دور القدوة الصالحة التي تشق الطريق وتفتح السبيل أمام كل أولئك الضعفاء على اختلاف مراتبهم.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ

لأبيه لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ^١!

الثالثة: إن الحقيقة قد تشبه بالادعاء، والواقع بالرغبة، والفعل بالقول، فيصبح الادعاء مورداً للشك باعتبار قلة التجربة أو عدم الاطلاع على كل الظروف المحيطة بالادعاء وأبعادها، بحيث يتخوف الإنسان من الخديعة أو التضليل والتغيير، ويأتي دور القدوة التي تقرن القول بالعمل وتجسد الادعاء وتصدق الحقيقة.. وبذلك يصبح القول المقرون بالعمل أكثر تأثيراً في النفس؛ لما فيه من دلالة على قناعة وإيمان حقيقي من قبل الآخرين؛ لأن القناعة والإيمان بالشيء يكون لهما تأثير في نفوس الآخرين؛ لما فيهما من الدلالة على صدق التجربة وصحة الادعاء والاستعداد للمواساة وتحمل الأعباء والمشاكل.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنِيَّانَ مَرْضُوعِينَ﴾^٢.

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا. مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ

^١ سورة الممتحنة، الآية: ٤.

^٢ سورة الصف، الآيات: ٢ - ٤.

يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا^١.

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ^٢﴾.

الرابعة: إن المفهوم المطروح للمثال قد يتهم بأنه مفهوم مثالي لا يمكن تحقيقه خارجاً، وإنما هو مجرد طموح نحو الكمال وتخيل لدرجات السمو باعتبار اتجاه الإنسان إلى الخيال والطموح، ويأتي دور القدوة من أجل أن يؤكد واقعية المفهوم والقدرة على تطبيقه وتجسيده خارجاً.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ، وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ، وَتَمَكَّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَتُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ^٣﴾.

ولعل أروع النصوص التي تشير إلى هذه الأبعاد في دور القدوة ما جاء عن علي (ع) في نهج البلاغة، الخطبة: (١٦٠).

وبالإضافة إلى كل ذلك يمكن أن يكون للقدوة دور مهم في إيجاد القناعة واليقين بقضايا كثيرة لا يمكن الإقناع بها إلا من خلال

^١ سورة الأحزاب، الآية: ٢٢ و ٢٣.

^٢ سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

^٣ سورة القصص، الآيات: ٤ - ٦.

القدوة الصالحة، حيث إن القناعة وحسن الظن بهذه القدوة من خلال السلوك المتكامل تفرض قياساً طبيعياً وروحياً للمساواة بين تلك الممارسات الحسنة والسلوك الجيد الذي يلتزم به هذا الإنسان (القدوة) وبين بقية الممارسات الأخرى التي يقوم بها ذلك الإنسان، حتى لو لم تكن بتلك الدرجة من الوضوح، بحيث ينتهي الأمر إلى سريان الالتزام والإيمان إلى تلك الممارسات الأخرى.

وقد استخدم الرسول (ص) هذا الجانب كأسلوب للهداية، ومن النماذج بهذا الصدد ما روي عنه (ص) أنه قال يوماً لقريش: (ما تقولون لو أخبرتكم بوجود قافلة وراء هذا الجبل، فكان جوابهم: أننا نصدق ونتصرف على أساس هذا التصديق. فقال لهم: إذا أني أخبركم بأن لا إله إلا الله وأن هذه الأصنام لا تضر ولا تنفع..) وقد كان هذا الجانب مؤثراً في إقناع الكثير من الناس بالرسالة الإسلامية أكثر من قناعتهم ببقية الأدلة والبراهين على صحة الرسالة.

وفي هذا المجال وردت الروايات التي تؤكد على الدعوة إلى الله من خلال الالتزام والعمل، فقد نصح الأئمة (عليهم السلام) شيعتهم أن يكونوا دعاة لهم بأعمالهم. قال الإمام الصادق (ع):

«كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير، فإن ذلك داعية»^١.

^١ وسائل الشيعة، ج: ١، ص: ٥٦، الحديث: ٢.

«عليكم بتقوى الله والورع والاجتهاد وصدق الحديث وأداء الأمانة وحسن الخلق و... وكونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً»^١.

كما أن اشتراط العدالة في إمام الجمعة والجماعة قد يكون انطلاقاً من مبدأ القدوة، حيث لا يبرز في إمام الجماعة إلا هذا الجانب، بخلاف العدالة في الشاهد الذي يكون الهدف منها هو الوصول إلى الحقيقة وتحقيق العدل.

وبذلك تصبح القدوة الصالحة دليلاً على الحقيقة قائماً بنفسه، ومنهجاً للهداية يؤثر في الوقت نفسه على العقل والوجدان، ويجمع إلى جانب ذلك الوضوح والشجاعة والثبات.

وبهذا الاستعراض القصير لبعض آثار القدوة على مسيرة الحياة التغييرية يمكن أن نعرف بأن القدوة تعبير عن أحد أفضل الأساليب التي يمكن أن يتم التخاطب بها مع العقل والوجدان معاً.

ولعل هذا الدور هو أحد أهم ما يفسر به اشتراط العصمة أو العدالة بدرجة عالية في القيادة الإسلامية، حيث يمكن أن يكون لهذه القيادة المتصفة بهذه الصفة دور القدوة والهداية إلى جانب دور المفاهيم والأفكار التي تطرحها الشريعة في تحقيق التغيير.

ولأهمية الدور الذي يمكن أن تؤديه القدوة في تحقيق الهداية والتغلب على المشكلات التي يواجهها الإنسان في مسيرته التكاملية نجد القدوة تدخل كعنصر أساسي في النظرية الإسلامية في التحرك

^١ وسائل الشيعة، ج: ٨، ص: ٤٠١، الحديث: ١٠.

السياسي، فبالإضافة إلى ما ذكرناه من اشتراط العصمة أو العدالة العالية في القيادة الإسلامية - لضمان تحقيق الاستقامة والعدل في المسيرة الإسلامية - تبرز هذه القضية في جانب آخر وهو جانب الارتباط السياسي بالقيادة، حيث يجب أن تكون القيادة (علنية) ويعلم بها الأتباع ولو بدرجة محدودة، حيث جاء النص المتواتر بين المسلمين أن: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» ومن هنا يمكن أن نفهم تأكيد أمير المؤمنين علي عليه السلام على القدوة وأهميتها عندما يقول: «واقصدوا بهدي نبيكم فإنه أفضل الهدى واستنوا سنته فإنها أهدى السنن»^١.

وكذلك كان يقول عن رسول الله: «وكنتم أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاعتداء به»^٢. وجاءت الكلمة القيمة لإمام المتقين:

«ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد»^٣

وبذلك تصبح القدوة أحد المعالم الرئيسية التي تفرق بها نظرية

^١ نهج البلاغة، الخطبة: ١١٠.

^٢ نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٢.

^٣ نهج البلاغة، الكتاب: ٤٥.

الإمامة في العمل السياسي عن النظريات الحربية الحديثة.
 بل يمكن أن نقول: إنه يوجد في القرآن الكريم ما يمكن أن يفهم منه أن الإنسان بسبب تركيبته النفسية أو الاجتماعية يقع تحت تأثير القدوة بشكل طبيعي، بحيث يمثل ذلك اتجاهاً فطرياً في الإنسان، ولذا يحسن بالإنسان أن يستخدم عقله في اختيار القدوة؛ حتى لا يتعرض للانحراف، ويحصل على طريق صحيح للهداية والتكامل الإنساني، ولعل الكلمة المعروفة للإمام علي (ع): «ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه..» تشير إلى هذا الاتجاه الفطري في الإنسان من ناحية، وأهمية القدوة وضرورتها من ناحية أخرى، وسوف يأتي مزيد توضيح لهذه الفكرة قريباً.

تأكيد القرآن على دور القدوة

ولذلك نجد القرآن الكريم يؤكد على دور القدوة والتأسي في منهجه الذي التزمه في التغيير، وقد نهج القرآن لذلك خطين رئيسين:

الأول: الخط الذي يؤكد على دور الاقتداء والتأسي ويأمر بهما بشكل مباشر، حيث ورد في مجموعة من الآيات التأكيد أو الإشارة إلى ذلك مثل قوله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ
 وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا^١﴾.

^١ سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ...﴾^١ .
 ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا
 لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا
 وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ
 لِأبيه لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا
 وَإِلَيْكَ آتَيْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^٢ .

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ...﴾^٣ .
 الثاني: القصص والأمثال التي ضربها القرآن الكريم سواء في
 تاريخ الأنبياء أو الأمم الماضية، أو في تاريخ الأمة الإسلامية وسيرة
 النبي (ص) والصادقين من أصحابه، حيث كان الهدف منها الاعتبار
 والافتداء والتأسي من خلال استنباط القوانين والسنن التاريخية كما
 هو واضح من خلال بيان أهداف هذه القصص:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^٤ .
 ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ
 فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^٥ .

^١ سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

^٢ سورة الممتحنة، الآية: ٤.

^٣ سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

^٤ سورة يوسف، الآية: ١١١.

^٥ سورة هود، الآية: ١٢٠.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْتِمُ الْبَاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَرَزِلْوْا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^١.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَتَجَنِّي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَتَجَنِّي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكَتَبَهُ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾^٢.

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^٣.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^٤.

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾^٥.

وفي الحديث عن أبي عبد الله الصادق (ع): «خير ما يخلفه الرجل بعده ثلاثة: ولد بار يستغفر له، وسنة خير يقتدي به فيها،

^١ سورة البقرة، الآية: ٢١٤.

^٢ سورة التحريم، الآية: ١١ - ١٢.

^٣ سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

^٤ سورة النور، الآية: ٥١.

^٥ سورة الأحزاب، الآية: ٢٢.

وصدقة تجري من بعده»^١.

وعن الصادق (ع) أيضاً: «ولا طريق للأكياس من المؤمنين أسلم من الاقتداء؛ لأنه المنهج الأوضح والمقصد الأصح، قال الله تعالى لأعز خلقه محمد (ص): (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) فلو كان لدين الله مسلك أقوم من الاقتداء لندب إليه أوليائه وأنبياءه»^٢.

القدوة الصالحة والقدوة الفاسدة

وكما أن القدوة الصالحة تمثل عنصراً أساسياً في عملية البناء للمجتمع الصالح، كذلك نجد القدوة قد تتخذ بعداً تخريبياً للمجتمع عندما تكون العناصر التي يقتدي بها الأفراد في المجتمع عناصر فاسدة، وبالتالي تؤثر في أفراد المجتمع تأثيراً عكسياً، بحيث يتحول هؤلاء الأفراد إلى مجرد اتباع مسلوب الإرادة والعقل والضمير، تؤثر فيهم القوة والهيمنة المادية لهؤلاء الأفراد.. وهذا التأثير قد يعكس اتجاهاً فطرياً وحالة طبيعية يحس بها الإنسان وهو الاتجاه للاقتداء واتباع الأشخاص المتميزين في المجتمع، ويجسد الدور الخاص للقدوة في التأثير الاجتماعي... ولذلك نجد القرآن الكريم يشير إلى بعض هذه النماذج الفاسدة والمؤثرة، ويحذر منها، ويذكر النهاية السوداء التي تنتظر أولئك الاتباع في المستقبل.

^١ وسائل الشيعة، ج: ١٣ ص: ٢٩٤.

^٢ نور الثقلين، ج: ١ ص: ٧٤٤.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا كِرَّةً فَنتَّبَرَأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾^١.

﴿وَبَرَّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَمْ صَبْرُنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾^٢.

ولذلك يصنف القرآن الكريم الأئمة الذين يقودون المجتمع ويمثلون العناصر المؤثرة فيه إلى قسمين:

- أئمة يهدون إلى الجنة والحق وأمر الله.

- أئمة يهدون إلى النار والضلال والفساد.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾^٣.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾^٤ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِّنْ

^١ سورة البقرة، الآية: ١٦٥ و ١٦٧.

^٢ سورة إبراهيم، الآية: ٢١.

^٣ سورة السجدة، الآية: ٢١.

المقبوحين^١!

وقد ورد عن أمير المؤمنين علي (ع): «إن أبغض الخلائق إلى الله رجلان: رجل وكله الله إلى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل، شعوف بكلام بدعة ودعاء ضلالة، فهو فتنة لمن افتتن به ضال عن هدي من كان قبله، مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته» وورد عنه أيضاً: «ومالي لا أعجب من خطأ هذا الفرق على اختلاف حججها في دينها لا يقتصون أثر نبي ولا يقتدون بعمل وصي».

وأمر الله سبحانه اتباع الهداة إليه، لأنهم يدعون إلى الحق والصلاح، وكذلك استخدام العقل في القدوة والاتباع، كما يستخدم العقل في كل القضايا التي ترتبط بالحاجات والرغبات والغرائز الإنسانية.

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^٢.

وبهذه الطريقة يضع القرآن الكريم الموازين التي يجب أن يؤخذ بها مقياساً في القدوة الصالحة التي لا بد للإنسان أن يرتبط مصيره بها.

وأهم هذه الموازين هو الدعوة إلى الحق والعقيدة الصالحة

^١ سورة القصص، الآية: ٤١ و ٤٢.

^٢ سورة يونس، الآية: ٣٥.

والتقوى والصبر والثبات على الطريق المستقيم.. والسير في طريق الكمال الإنساني والابتعاد عن مزلق الهوى والعجب والظلم والاستكبار..

بحيث يكون هذا الامتياز قائماً على أساس الجانب المعنوي والتكاملي في الإنسان، حيث نجد هذه المواصفات مبثوثة في القرآن الكريم.

كما أننا نلاحظ أن قوى الكفر والضلال تحاول أن تطرح في المجتمع العناصر الفاسدة كقدوة للناس وتحيطهم بهالة من الإعجاب والثناء والشهرة، الأمر الذي يؤدي إلى الاقتداء بهم والتأسي بسلوكهم الفاسد وأعمالهم القبيحة. ونجد أن الأسس والموازن في القدوة الفاسدة هو الامتياز في المال والجاه والقوة والجمال المادي، وتجسيد اللذة والمتعة الشخصية والجسمية والسعي للإكثار منها.

تأثير الحب والموقع الاجتماعي في القدوة الصالحة

وتزداد القدوة أهمية خاصة في التأثير والفاعلية عندما يكون الشخص القدوة يتصف بميزتين رئيسيتين:

الأولى: رابطة الحب والود مع الناس، حيث ينتقل العمل الصالح الذي يمارسه القدوة إلى هؤلاء الناس ليس من خلال عقولهم فحسب وإنما يأخذ طريقه إلى قلوبهم ووجدانهم من خلال هذه العاطفة المؤثرة والمحركة لإرادة الإنسان، وينتقل هذا الحب من شخص القدوة وصفاته إلى كل تصرفاته وأعماله، وبذلك تزداد

مسؤولية الإنسان القدوة تجاه أعماله وأقواله عندما يكون محاطاً بهذا اللون من الحب والود بين الناس، وتصبح مسؤولية الالتزام السلوكي على درجة عالية كلما كان للقدوة موقع خاص في نفوس الناس.

الثانية: الموقع الاجتماعي: مثل أن يكون الإنسان القدوة زعيماً في المجتمع أو ولياً لأمر المسلمين أو مرجعاً دينياً عاماً. حيث يكون هذا الموقع الاجتماعي عاملاً طبيعياً في التأثير والاتباع حسب القاعدة المعروفة (الناس على دين ملوكهم)؛ لأن موقع القدوة والقوة والاحترام يكون له تأثير في نفوس الكثير من العامة الذين يشعرون بالضعف تجاه المواقع الاجتماعية الكبيرة، ومن هنا جاء التأكيد بالالتزام السلوكي الخاص لنساء النبي (ص) مثلاً على مسؤولية الالتزام العالي.

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ...﴾^١

كما نجد أن الفقهاء يشترطون في القائد والمرجع درجة عالية من العدالة تختلف عن العدالة التي يشترطونها في إمام الجماعة أو الشاهد لطبيعة الموقع الاجتماعي الذي يحتله هذا القائد أو المرجع ولطبيعة المسؤوليات العظام التي يتحملها.

ولعل هذا هو السبب الرئيس في احتلال الكثير من الملوك والمترفين والطمعاء لموقع القدوة في المجتمع، بالرغم من تفاهة

^١ سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.

شخصياتهم أحياناً وفسادهم وظلمهم وارتكابهم الكثير من الأعمال المشينة المنفرة لأفراد المجتمع أحياناً أخرى، كما أشير إلى ذلك في بعض الآيات السابقة.

ولذلك عندما يصبح هذا الزعيم إنساناً صالحاً سوف يكون له تأثير بالغ في الأمة وتزداد أهمية القدوة فيه.

بالإضافة إلى بعد آخر في هذا الموقع الاجتماعي عندما يكون قدوة صالحة هو ما يعبر عنه من الكمال الإنساني... حيث إن الموقع الاجتماعي يمثل أسلوباً من أساليب الاختبار والامتحان، فإن الزعامة والولاية تتحول إلى معاناة قاسية على مستوى النفس والإرادة واختباراً للإرادة العالية، والصبر على تحمل المشاكل، والضبط للهوى، والحذر والاحتياط من الانزلاق في مزلق الهوى أو التردى في هاوية الشهوات، الأمر الذي يعني ضرب أروع الأمثلة في جهاد النفس والقدوة الصالحة.

وتزداد هذه الأهمية عندما يكون القدوة يعيش ويتواجد بين هؤلاء الناس فعلاً، حيث يمكنهم أن يدركوا كل الظروف التي أحاطت بالسلوك والمسيرة، ويصبح التجسيد حقيقة قائمة دون أن نتحول إلى مجرد موقف تاريخي لا نتحسس ظروفه.

ولهذه الأهمية التي يتمتع بها القدوة الصالحة في عملية التغيير الاجتماعي والبناء الذاتي لأفراد المجتمع، نجد أعداء الإسلام والحق يحاولون دائماً، عندما يعجزون عن محاربة الأفكار والمفاهيم والعقائد في الرسائل الإلهية والأعمال الإصلاحية التي يقوم بها الأنبياء والأوصياء والعلماء والصالحون، أن يعملوا على

محاربة القدوة الصالحة في المجتمع وهو النبي أو الوصي أو الإنسان الصالح، الذين يتحملون هذه المسؤوليات، ومحاولة تشويه صورتهم؛ لأنهم يدركون أن هدم القدوة والبناء بعد أن تفقد المسيرة ربانها المجسد - ولو بدرجة معقولة - لمفاهيمها ومعالمها واقعياً وخارجياً.

وقد أشرنا إلى مجموعة من هذه الأساليب التي يتبعها أعداء الإسلام لإسقاط القدوة في بعض محاضراتنا، ولكن قد نذكر بعضها عندما نتحدث عن مواضع القدوة في شخصية الإمام. ومن هنا يصبح تدوين مسيرة الصالحين - وخصوصاً البارزين منهم، ونشر تفاصيل حياتهم وسلوكهم - عملاً تليغياً رائعاً وخدمة إسلامية صادقة؛ لأن ذلك يوسع من دائرة تأثير القدوة باتساع دائرة الاطلاع على مواطن الاقتداء فيها.

مواضع القدوة في شخصية الإمام (ره)

في البداية أود أن أشير إلى خصوصيتين مهمتين في شخصية الإمام، لهما أهمية خاصة في قضية التأسّي بالقدوة، بالإضافة إلى خصوصياته الكمالية والسلوكية التي ترتبط بالعلم والتقوى والشجاعة، وحسن التدبير، والاهتمام بإبلاغ الحجة إلى كل الأوساط. ثم بعد ذلك أشير إلى بعض النقاط السلوكية في مسيرته الجهادية بالمقدار الذي يسمح به هذا البحث.

علماً بأن بيان مواضع القدوة في شخصية الإمام يحتاج إلى بحث كبير وواسع؛ لما لهذه الشخصية من أبعاد اجتماعية وسياسية

وعلمية وسلوكية حافلة بالأحداث والمواقف والمتغيرات، كما أنها عاصرت فترات زمنية حرجة وصعبة.

روح اللئيم بين رحمة اللئيم

الخصوصية الأولى: إن إمام الأمة رضوان الله عليه يجمع بين صفتين متضادتين عادة في مجال التنفيذ والعمل:

أ - صفة الاحتفاظ بالسلوك العالي المتميز والطهارة والنظافة العملية والاحتياط والابتعاد عن مواطن الشبهات، وكما يفرضه موقعه الديني كمرجع للمسلمين يرتبطون به؛ لأنه يمثل رابطة الوصل بينهم وبين الله في بيان الأحكام والمواقف العملية لهم. هذا السلوك الذي يؤدي عادة بالكثير من الناس إلى العزلة والابتعاد عن المجتمع ومشاكله المعقدة، ومواضع الانزلاق ومواطن الشبهة والابتلاء.

ب - صفة الاهتمام بالقضايا الاجتماعية والسياسية التي تعيشها الأمة، وتفصيل المشاكل التي تواجهها، وطرح الحلول لهذه المشاكل في ضوء الإسلام، واتخاذ المواقف السياسية والاجتماعية من أجل مواجهة كل هذه الأحداث، والاستفادة منها في عملية التغيير الاجتماعي وتربية الأمة على المواجهة والسير بها نحو الكمال الإلهي.

وهذه الخصيصة هي الأمر الذي يتميز به كل القادة الرساليين كالأنبياء والسائرين على منهجهم. فهم في الوقت الذي يجسدون الارتباط بالسماء ومعانيها السامية لا ينفصلون عن الأرض وقضاياها.

فهم يعيشون بين أهل الأرض بكل معاناتهم؛ ليرسموا لهم خط السماء من خلال أقوالهم وأفعالهم.

وحين حاول واحد من هؤلاء الأنبياء في لحظة انفعال أن ينصرف عن أهل الأرض لانحرافهم وضلالهم امتحنه الله سبحانه بقوة، وعرضه للبلاء:

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^١.

(فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ * لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَبَدَّ بِالْعُرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ * فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ)﴾^٢.

فالعزلة عن المجتمع وقضاياه المصيرية في بعض الأحيان خوفاً على الدين والأخلاق أو خوفاً من الشبهات والتهم - كما يصنع البعض - يشبه الفرار من الزحف في ميادين القتال. وشأنها شأن الإنسان الذي لا يدخل المدرسة ولا يطلب العلم خوفاً من نتائج الامتحان والاختبار .. لأن المسؤولية والوظيفة الشرعية تفرض الدخول في ميدان الصراع الاجتماعي مع قوى الضلال والكفر وأحزاب الشيطان وأوليائه؛ من أجل ترسيخ دعائم الحق وترسيم طريق الهداية حتى لو كان الإنسان في معرض الخطأ والاشتباه.

^١ سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

^٢ سورة القلم، الآيات: ٤٨ - ٥٠.

ولكن في الوقت نفسه لابد للإنسان أن يتمسك بالأخلاق الفاضلة والموازن الشرعية والقوانين الإسلامية والمعاني السامية التي تجسد التقوى والعلاقة بالله سبحانه، وبذلك يتعرض الإنسان إلى الاختبار والامتحان ويستحق الثواب والأجر، وبذلك يتكامل الإنسان ويسمو، ويلتحق بركب الأنبياء والصديقين والشهداء.

وهذا هو الذي يفسر لنا قانون الامتحان والفتنة والابتلاء الذي كتبه الله سبحانه على البشرية جمعاء.

ولذلك أيضاً شجبت الإسلام الرهبانية المسيحية ووصفها بالبدعة. حيث إن الرهبانية في الإسلام هي جهاد النفس والزهد بالدنيا لا العزلة عنها وتجميد الوظائف الطبيعية للإنسان.

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾^١.

الزجيم الرنبي في منهج الفرو العاوي

الثانية: إن الإمام تمكن إلى حد بعيد أن يحتفظ بالسلوك الاجتماعي نفسه الذي كان يمارسه قبل أن يصبح زعيماً مطلقاً ومؤسساً للجمهورية الإسلامية والفقهاء المبسوط اليد في الأمة، سواء في المستوى الروحي، أو في مستوى العلاقات مع الجماهير، أو في أساليب الحياة المعيشية والإدارية، ولم يتجاوز ذلك إلا بالقدر الذي

^١ سورة الحديد، الآية: ٢٧.

تفرضه الأوضاع الصحية الخاصة به أو الظروف الأمنية القاسية، هو بعض المصالح العامة.

ويمكن أن يلاحظ ذلك بوضوح من خلال أحاديثه أو علاقاته بالآخرين أو منحه الفرصة بأن يلتقي - باستمرار - بالمجاهدين أو عوائل الشهداء أو الناس العاديين بشكل عام أو ممارساته الشخصية في المأكل والملبس والمسكن. وذلك بالرغم من ضخامة المسؤوليات التي يتحملها، والموقع السياسي الرسمي الذي يتبوأه، ونمو العواطف والأحاسيس الجماهيرية تجاهه سواء على المستوى الكيفي أو الدائرة الكمية الواسعة التي شملت قطاعات من المسلمين في كل مكان من العالم ومن مختلف المذاهب والأقوام.

ملاحم للقدوة الصالحة في المسيرة السلوكية

هناك ملاحم كثيرة للقدوة في مسيرة الإمام السلوكية يمكن أن يتبينها الإنسان من خلال ملاحظته وقراءته لمسيرة السلوك الخاص التي تحدث عنها كتاب (الإمام قدوة) بجزأيه الأول والثاني، كما يمكن أن نتبين ذلك من خلال المواقف المعروفة للإمام في مسيرته الجهادية، ولكن أود أن أشير هنا إلى بعض هذه الملاحم:

١- الالتزامات المبدئية

المبدئية في الالتزامات السياسية والمواقف الجهادية، حيث يبدو ذلك واضحاً من خلال مواقف الإمام تجاه نظام الشاه وقوى الاستكبار العالمي وقضية الحرب العدوانية، والقوى السياسية

المنحرفة، ونصرة الشعوب المستضعفة، والأبعاد السياسية للعبادات الإسلامية كالحج وصلاة الجمعة، والإيمان بالنصر الإلهي، وبقوة المسلمين، وبالموقع الخاص لعلماء الدين والمفكرين، وللمؤسسات الإسلامية كالمساجد والحسينيات، ولطريقة العمل الجماهيري، وخط التضحية، والفداء ولدور الأمة في العمل السياسي .. الخ.

ويبدو الإمام في كل ذلك غير متأثر بالضغوط التي تمارسها قوى الطغيان ضده، أو الأساليب الإعلامية الخبيثة التي كرسه للتأثير على قراره المبدئي، وكذلك مختلف الأحداث المؤلمة أو الظروف الصعبة التي مرت بها التجربة الإسلامية أو اختلاف أحوال النصر أو الأثم.

ولعل من أروع الأمثلة على ذلك موقف الإمام من حكومة الشاه، وإقامة الجمهورية الإسلامية، والحرب العدوانية ضد إيران الإسلام، والبراءة من المشركين في الحج، والصراع مع أمريكا، وقضية سلمان رشدي، ووصيته السياسية، ورسالته إلى غورباتشوف..

٢- الاهتمام بمشاكل الأمة

الاهتمام بالأمة ومشاكلها سواء في نطاق أبناء الشعب الإيراني المسلم أو في نطاق الشعوب والأمة الإسلامية والاعتماد عليها والثقة بها ومخاطبتها بشكل مستمر.

ومن خلال الإصرار على ذلك تمكن الإمام أن يعبئ الشعب الإيراني المسلم، ويحدث التغيير الاجتماعي بواسطة هذا الشعب وبقدراته الذاتية و(بالقبضات وشعار الله اكبر)، كما استطاع أن يعبئ

الشعوب الإسلامية في حركة واسعة قوية لا زالت تعطي ثمارها في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، بالرغم من ممارسات القمع والأعمال الوحشية التي نفذتها قوى الاستكبار وعناصر الشر المرتبطة بها ضد إيران الإسلام وضد حركة هذه الشعوب.

٣- الاستقامة والصبر والإخلاص

الصمود والصبر والإخلاص لله والمواظبة على العمل الجاد بحيث لا يتسرب الكلل أو الملل لإرادته مع الدقة في التنفيذ والتعامل بروح الأمل والثقة بالله وبالمستقبل مهما اشتدت الأزمات أو ادلهمت الخطوب. وفي تجربة الصبر والصمود في مواصلة النضال ضد الشاه طيلة ما يزيد على الخمس عشرة سنة، بالرغم من السنين الشداد التي كان يبدو فيها الطرق وكأنه على الحديد البارد. وكذلك تجربة الصمود في وجه الحرب العدوانية التي شنتها قوى الاستكبار العالمي ضد الجمهورية الإسلامية وغير ذلك من الموارد أفضل شاهد على هذه الحقيقة.

وأتذكر بهذا الصدد أن النداءات التي كان يطلقها الإمام في النجف الأشرف ضد حكومة الشاه - قبل انتصار الثورة بأكثر من عشر سنين - بين الحين والآخر كانت تبدو للكثيرين وكأنها شيء من العبث، بعد أن كان التصور السائد هو عدم إمكانية زحزحة حكومة الشاه المستقرة والمدعومة من قوى الاستكبار، ولكنه بقي مصراً على موقفه حتى حقق الله أمنياته بسقوط حكومة الشاه وقيام الحكم الإسلامي.

٤- الحسم والوضوح

الحسم والحزم والوضوح في اتخاذ القرارات في الأمور الهامة، كما نشاهد ذلك بوضوح في بعض المواقف الحرجة، فعلى سبيل المثال:

يواجه الثائرون المسلمون قضية الهتاف بسقوط «الشاه» في مسيرة التاسع والعاشر من محرم المليونية سنة ١٣٩٩هـ^١ ويهدد الشاه بضرب هذه الملايين بالرصاص إذا رفع هذا الشعار، ولكنه يسمح بكل الشعارات دونه، ويتردد العلماء في الموقف عندما يبلغهم تهديد الشاه بطريق خاص وهم يواجهون مذبحه كبرى، ويحسم الموقف الإمام وهو في باريس ويطلب رفع هذا الشعار. وتهتف الملايين بسقوط الشاه ويسقط بعد نحو شهرين تقريباً. والشيء نفسه نجده عندما طلبت حكومة بختيار من الناس عدم الخروج إلى الشوارع في ٢١ بهمن ٥٧هـ ش وهددت بمذبحه كبرى ويتردد كل القادة في الموقف ويحسم الأمر إمام الأمة، بأن يأمر الناس بالخروج ويشاء الله أن تنتصر الثورة بذلك، وهناك عشرات المواقف الحرجة التي واجهت الإمام وحسم الأمر بها بعد أن يتحير الخبراء فيها مثل: - الموقف تجاه عزل بني صدر، والمواجهة المسلحة مع المنافقين، والموقف تجاه انتخاب مجلس الخبراء حيث كان يواجه معارضة من قبل محبي الإمام الذين لم يكونوا يسمحون لأنفسهم أن

^١ سنة سقوط حكومة الشاه، ١٣٥٧ش.

يتصوروا اليوم الذي يموت فيه الإمام ويأتي دور هذا المجلس، والموقف تجاه محاولات الاتحاد السوفيتي في التدخل في إيران والموقف تجاه تدخل أمريكا في الخليج.

٥- عدم الانفعال والتورط بالقضايا الجانبية

عدم الانفعالات بالأحداث والأزمات الجانبية أو التورط في الخلافات الجانبية، فإن الإمام يحاول دائماً أن يجعل المعركة والجهد متجهاً نحو الأهداف الأساسية دون أن يقع تحت تأثير التطورات المفاجئة.

فقد واجهت الثورة محاولة لجرها إلى صراع جانبي عندما قامت زوجة الشاه بزيارة احد المراجع الكبار في النجف الاشرف، في الوقت الذي كانت الدماء تجري غزيرة في إيران، وفي قمة أحداث الأشهر الأخيرة للثورة، ولكن الإمام امتنع أن يقع تحت تأثير هذا الحدث، وأمر بالسيطرة على كل الانفعالات الجماهيرية وردود الفعل التي كان يمكن أن تحدث تجاه هذا الحادث، والتي كانت تؤدي حتماً إلى إرباك صفوف الثوار وانشغالهم بمعركة جانبية، وجنب الثورة أعظم المخاطر.

ونفس الموقف كان تجاه أحداث تبريز التي كان وراءها «حزب جمهورية الشعب المسلم» وامتداداتها السيئة في مدينة قم والتي كان يقف وراءها السيد (شريعتمداري) وقراره بتجنب المعركة الهامشية، حيث كانت البلاد تعيش أزمة الحصار الأمريكي. وكذلك الموقف تجاه العدوان الواسع على الجمهورية

الإسلامية من قبل نظام صدام الذي واجهه بالصمود والتقدير الواقعي له.

والموقف من الغزو الإسرائيلي للبنان بعد فتح خرمشهر، بالرغم من أن فورة الانتصار كانت تدعو الكثير من القادة الإسلاميين إلى الاندفاع وراء قضية التواجد في لبنان بشكل واسع، ونقل الحركة إلى إسرائيل وصرفها عن العراق. ولكن الإمام وقف في وجه ذلك.

٦- منهج الاختبار

إعطاء الفرصة للامتحان والاختبار سواء على المستوى الفردي أو الشعبي. هذا الخلق الذي يستمد جذوره من الثقة بالله والاعتماد على النفس والأهداف الصالحة.

وفي تجربة لوزارة الأولى الموقته للجمهورية الإسلامية، وتجربة انتخابات رئاسة الجمهورية الأولى التي جرّت إلى الصراع مع بني صدر عندما بدأ بالانحراف، وتجربة الحريات السياسية للأحزاب العلمانية وشبه العلمانية. وغير ذلك من التجارب العامة والخاصة أفضل شاهد على هذه الحقيقة.

وكان الإمام في هذا المجال يحاول دائماً أن يجعل الأمة مدركة للوقائع والأحداث بنفسها وواعية لدورها، مبتعداً عن قضية التدخل في الجزئيات والتفاصيل إلا في المواقع الحساسة التي يشعر أن الأمة تكون فيها بحاجة إلى التوجيه والهداية، كما حصل ذلك في قضايا الانتخابات الأولى.

فالإمام يتدخل في توجيه الأمة؛ من أجل أن يثبت قضية مجلس

الخبراء الأول، ويتدخل في توجيه الأمة لإرشادها إلى النظام الصحيح الذي تختاره وهو نظام (الجمهورية الإسلامية) لا تريد كلمة ولا تنقص، بعد أن حاول بعض الناس أن يزيد كلمة ديمقراطية أو شعبية.

ولكن يترك الخيار للأمة أن تنتخب رئيسها دون أن يتدخل في تزكية أحد من المرشحين، بعد أن كان هذا الأمر من صلاحياته؛ وذلك من أجل أن تصبح دائرة المنافسة واسعة لتكشف بشكل واضح عن قوة الخط الإسلامي.

٧- البساطة والزهد

البساطة والزهد في الحياة المعيشية، فلا زال الإمام - مثلاً - يصرّ إلى آخر أيامه أن يكون المنزل الذي يسكنه منزلاً بسيطاً، قدّمه له العالم^١ المحلي في قرية جماران على شكل عارية، وهو منزل ذاك العالم نفسه الذي كان يسكنه قبل الثورة.

ويستقبل الناس في الحسينية المتواضعة التي صممت وبنيت في جوار منزل هذا العالم لأهل القرية، ولم يوافق الإمام - كما حدثني

^١ حدثني هذا العالم الجليل وهو حجة السلام السيد مهدي جماراني أن الإمام بعد أن نزل في جماران أراد أن يطمئن قلبه أنه لم يثقل على أحد في نزوله في البيت، فسأل زوجتي عندما زارته، عن قبولها بالسكنى في داري حيث أعلنت له هذه الزوجة الفاضلة بترحيبها وقبولها.

هذا العالم نفسه - أن تصقل الحسينية - التي يستقبل بها كل الطبقات من الناس بالإضافة إلى المسؤولين - تصقل بالجص الأبيض - كما هي العادة في الحسينيات المتواضعة ... كما أنه يستخدم في حياته المنزلية الأجهزة البسيطة، وكذلك الحال في الفراش والأدوات والمأكل...

وقد كان هناك منزل للإمام مملوك له في قم أخرجته من ملكه بالوقف العام وأرض في خمين موروثه من أبيه أوكل التصرف بها في شؤون الفقراء إلى ممثله في خمين، وقد رأيت ما كتبه الإمام لممثله بهذا الشأن.

وقد تكون الملامح السابقة التي ذكرتها تزداد أهميتها في شأن مواصفات (القادة) والزعماء وضرورة اقتدائهم بها. ولكن هناك الكثير من الملامح والصفات يمكن أن يجدها الإنسان في حياة الإمام لا تختص بالقيادة ومواصفاتها بل يجد فيها الفرد العادي أيضاً القدوة الصالحة والسلوك الهادي؛ ولذلك نجد ضرورة الاهتمام بقراءة سلوك هؤلاء الصالحين ليتبين الإنسان مواضع العبرة والقدوة والأسوة في حياتهم وسلوكهم.

محاولة التسقيط تجاه الإمام

ومع كل ذلك السلوك المتميز، والذي يتسم بالإخلاص والتقوى والواقعية والشجاعة، نجد أن الإمام لا ينجو من محاولات التسقيط والهدم والاتهام، شأنه في ذلك شأن القادة والهداة إلى الله في تاريخ البشرية، الأمر الذي يجب أن ننتبه إليه في جميع

محاولات التسقيط التي يتعرض لها المتصدون للعمل الإسلامي عادة، والتي لا يمكن تجنبها بأي حال؛ لأنها تعبّر عن أسلوب يستخدمه الأعداء ضد الصالحين مهما كانت ظروفهم ومواصفاتهم.

١ - فقد اتهم الإمام بالمثالية والخيالية في تصوراته ومشاريعه، ولا يزال يتهم بذلك بشأن بعض المواقف، كما اتهم الأنبياء بالشعر والجنون.

ففي صراعه مع الشاه كانت هذه التهمة رائجة، وأنه يتخيل إمكان إسقاط هذا النظام، ومواجهة الأجهزة والإمكانات التي يملكها والقدرات التي تقف وراءه وتدعم وجوده وقد أثبتت التجربة الواقعية إمكانية ذلك وأنه أمر واقعي.

٢ - كما اتهم الإمام أيضاً بالافتراء والتزوير، حيث نجد هذه التهمة يطلقها أعداء الإسلام ضده بشأن تفسيره للدين وارتباطه بالمواقف السياسية، أو تفسيره للعبادات كالحج وصلاة الجمعة بأبعادها السياسية. كما اتهم الأنبياء قبله بالافتراء أيضاً.

٣ - الطعن بالأوضاع الشخصية كالتأثر بالحاشية أو الغلو والتطرف في المواقف والحكم، وما أشبه ذلك، مما تبثه إذاعات المستكبرين والشياطين وأذئابهم، ويروجه المروجون والمنافقون كما كان يصنع ذلك برسول الله، الذي كان يلزم في الصدقات ويتهم بالسذاجة، أو يتهم في أزواجه ونسائه.

وهكذا يتعرض القدوة الصالحة لمثل هذه المحاولات بعد أن يصيب أعداء الإسلام اليأس من إسقاط النظرية نفسها، أو يخافوا من مواجهتها بشكل واضح، فيتوجهوا لإسقاط أشخاصها ورجالها؛

لأنهم يدركون أن النظرية لا يمكن لها التأثير في المجتمع بدون الرجال الذين يحملونها. ولذلك يصبح الأسلوب الصحيح في مواجهة محاولات التسقيط والتشهير هو الاعتماد على المقاييس الموضوعية التي وضعها الإسلام أمامنا لتقييم القدوة الصالحة مثل التاريخ الجهادي، والمعاناة الطويلة في سبيل الإسلام والقضية، والتجربة الاجتماعية القائمة على أساس النظرة العلمية للأشياء لا على أساس الظنون والآثام، والتقوى والارتباط بالله تعالى إلى غير ذلك من المقاييس التي وضعها القرآن الكريم والإسلام العظيم أمامنا.

تجربتي الخاصة مع الإمام

وقد يكون من المفيد في هذا البحث أن أشير إلى جانب محدود من تجربتي الخاصة مع الإمام باعتبارها تمثل جانباً من سيرة الإمام الذي يتسم بالقدوة، وأتمثلُ فيها صفة الشاهد لهذه السيرة لا المحلل لها، وبطبيعة الحال سوف اقتصر على بيان بعض الملامح بالمقدار الذي تسمح به الظروف الفعلية والمصلحة الإسلامية والمجال المحدود لهذا البحث.

السجيرة في النجم الأشراف

لقد كان منهج الإمام قدس سره عندما كان في النجف الأشراف هو عدم التدخل في القضايا السياسية التي تطرأ على الساحة العراقية، وكنت أفهم ذلك على أساس تفرغه للقضية الإسلامية في إيران،

وعدم الانجرار إلى توزيع الجهد على ساحات متعددة، خصوصاً وأن المرجعية العامة المتصدية حينذاك (مرجعية الإمام السيد الحكيم) (رض) كانت تتولى بشكل خاص القضايا في الساحة العراقية... وقد تكشفت للإمام من خلال مراقبته للأوضاع العامة ولصراع المرجعية مع السلطة في العراق الكثير من الحقائق عن طبيعة الأنظمة والنظام العقلي بالخصوص، وعن طبيعة الأوضاع والعلاقات مع الشعب العراقي.

ولكن بعد وفاة آية الله العظمى السيد الحكيم^١ واجهت الحوزة العلمية أوضاعاً استثنائية حرجة كانت بداياتها في الأيام الأخيرة من حياته رضوان الله عليه.

وقد حاول الإمام قدس سره أن يلتزم بموقفه السابق تجاه هذه الأحداث أيضاً، حتى أنه على مستوى التصدي للتقليد في العراق لم يبد الإمام ولا صحبه أي نشاط ملحوظ بالنسبة إلى دعوة الناس في العراق إلى تقليده، بالرغم من أنه كان يرعى طلاب العلوم الدينية من كل الأوساط ومنها العراقية بالرعاية العلمية والمالية التي تقوم بها المرجعية المتعارفة.

ولكن عندما واجهت الحوزة ظرفاً استثنائياً وهو قرار تفسير كل غير العراقيين من الإيرانيين وغيرهم في الحوزة العلمية، وكان آية

^١ توفي الإمام الحكيم في أواسط سنة: ١٩٧٠م، وكانت هذه الأحداث في أواخر سنة:

الله السيد الخوئي مريضاً قد نقل إلى المستشفى في بغداد، وكانت الحوزة تعيش حالة الحيرة والتردد، نجد الإمام يبادر ولأول مرة باتخاذ قرار تعطيل الحوزة العلمية؛ احتجاجاً على موقف الحكومة البعثية، ويطلب من كل الأوساط الحوزوية الاستجابة إلى ذلك واتخاذ موقف موحد إلى حين تراجع الحكومة عن موقفها.

ولا زلت أتذكر موقف شهيدنا آية الله الصدر في هذا المجال وذهابه إلى بغداد للحديث مع آية الله السيد الخوئي وتحمله لمسؤولية الرسالة التي يطلب فيها السيد الخوئي من علماء الحوزة البقاء والصمود، ومحاولات بعض أطراف السيد الخوئي تكذيب هذه الرسالة، بحيث أحدثت بلبلة في النجف بسبب ذلك، كما أنه (قدس سره) قام بعدة زيارات للإمام من أجل التضامن وترتيب الموقف الموحد. الأمر الذي انتهى بعد ذلك بتراجع البعثيين عن موقفهم ومجيء (علي رضا) مسؤول المخابرات البعثية حينذاك إلى النجف وزيارته للمراجع وإعلانه قرار وقف التسفير.

التقليل من الروتين والمجاملات

كما أنه كان من الملاحظ في شخصية الإمام التقليل من حالة المجاملات الروتينية المعروفة في بعض أوساط الحوزات العلمية والاهتمام ببعض القضايا الشكلية الموروثة.

ومن ذلك مثلاً عدم تصدي الإمام لإقامة الفاتحة على أرواح العلماء الذين يتوفون في الخارج، حيث كان من المتعارف أن يقيم المرجع مجلس الفاتحة لمدة ثلاثة أيام، وقلصت بعد ذلك بقرار من

آية الله العظمى الإمام الحكيم لمدة يوم واحد على أرواح هؤلاء العلماء، بحيث كانت تتكرر هذه المجالس أحياناً عدة مرات في الأسبوع ومن قبل مجموعة من المراجع أو المرشحين للمرجعية. كما قلص مدة مراسيم الجلوس يومياً - المعتادة للمراجع - لعدة ساعات في النهار والليل للقاء العام من الناس إلى ساعة واحدة مساء وبشكل مضبوط، بحيث لا تزيد دقائق على هذا الوقت.

الأسلوب الجريز (التصدي السياسي)

وقد حاول الإمام قدس سره أن يدخل أسلوباً جديداً في منهج المراجع العظام وهو التصدي للقضايا السياسية من خلال الخطب وشرح المفاهيم بشكل مباشر ... بعد أن كان المراجع يتصدون لذلك - في بعض الأحيان - عن طريق اتخاذ المواقف أو الرسائل والبرقيات أو الفتاوى أو الممثلين.

وكانت خطاباته وأحاديثه فيما يتعلق بالحكومة الإسلامية، أو في بعض المناسبات السياسية والأحداث المستجدة في الساحة الإسلامية الإيرانية لها تأثير خاص بين طلاب العلوم الدينية. وأتذكر بهذا الصدد أن آية الله السيد محمد جواد الطباطبائي التبريزي عقد له اجتماع مهم في مسجد الهندي من قبل علماء وطلاب الحوزة العلمية بعد هذا التحرك وصعد المنبر وتناول القضايا السياسية الآتية، وكان لهذا الاجتماع دوي في النجف الأشرف.

الانصاف بالعمل الإسلامي في العراق

وعندما أقدم نظام العفאלقة المجرمين على الحكم بالإعدام على خمسة من خيرة أبناء العراق، فيهم بعض العلماء وبعض المثقفين الرسالين، بتهمة التعاون مع حكم أجنبي - كان يقصد به حكم الشاه - والانتماء إلى حزب سياسي غير مجاز (حزب الدعوة الإسلامية)، وتأكد لإمام الأمة أن هذه التهم باطلة، وأن النظام سوف يقدم على تنفيذ هذه الجريمة الشنيعة، حاول الإمام من خلال جهازه الخاص أن يتدخل في هذا الأمر - عندما طلب منه ذلك - ويمنع من ارتكاب هذه الجريمة، ولكن الأوان كان قد فات حيث نفذت الجريمة في نفس الساعات التي أبلغ الإمام فيها بهذا النبأ، ولا شك أن تدخل الإمام في هذا الأمر كان له أثر كبير من الناحية المعنوية على الأقل؛ لأنه سوف يبعد عن هذه المجموعة الكثير من الشبهات التي تحاول السلطة ترويجهما ضدهم؛ وذلك لوضوح موقف الإمام من حكم الشاه.

وأذكر بهذا الصدد لوناً من الرعاية الخاصة من قبل الإمام حينما حكم عليّ بالسجن المؤبد في العراق في قضية انتفاضة صفر المعروفة، ونقلت إلى السجن، فقد تعاطف إمام الأمة مع هذا الحادث.. بالرغم من أنني لم أكن محسوباً حينذاك في عرف الحوزة العلمية من حاشيته الخاصة، حيث كان يتفقد بشكل مستمر أحوالي الخاصة في السجن، فقد حدثني أحد العلماء من أسرتنا أن الإمام كان يسأله عني كلما التقى به في الحرم الحيدري الشريف - وكان من عادة الإمام أن يزور الحرم ليلاً بعد المغرب بثلاث ساعات وكان

من عادة هذا العالم أن يصنع ذلك في نفس الوقت - كما أنه قام بتكرار هذا السؤال في مناسبات مختلفة حتى في يوم تشييع ولده آية الله السيد مصطفى (ره).

علماً أن إمام الأمة معروف بين الناس أنه قليل الكلام في الشؤون الخاصة، وقليل العلاقات أيضاً في هذا المجال. كما أنه أرسل خبراً بتوسط أحد العلماء في جهازه الحوزوي وأحد إخواني الشهداء يعرض فيه راتباً شهرياً ويظهر استعداداه لكل مساعدة.

ثم شملني برعاية خاصة بعد خروجي من السجن سواء في تفقده الشخصي أو إرسال نجله حجة الإسلام السيد أحمد الخميني وبعض خاصته للزيارة.

وقد لمست من خلال ذلك العطف الخاص الذي يوليه الإمام للطلبة الذين يقدر أن لهم مواقف جهادية وسياسية، وكذلك للتحرك الإسلامي في العراق.

التجربة مع الإمام

فيما يرتبط بالقضية الإسلامية في العراق

وقد أولى الإمام القضية الإسلامية في العراق رعاية وأهمية خاصة؛ لأنه كان يعرف الكثير من ظروفها عن قرب بسبب وجوده في العراق، ورؤيته لمجمل الأحداث السياسية فيه عن كثب.

وقد سمعته في إحدى المرات كان يقول: إنني كنت أتوقع قيام

الحكم الإسلامي في العراق قبل قيامه في إيران؛ بسبب وجود قوى العشائر العراقية التي ترتبط بالعلماء، كما أن تكوينة الشعب العراقي العامة عشائرية توالي الإسلام.

كما أنه ذكر لآية الله الشهيد الصدر: أنه كنت أنتظر من المغفور له آية الله العظمى السيد الحكيم أن ينهض بالشعب العراقي في وجه الحكم الطاغوي، ولكن عندما رأيت موقف الناس من تحركه في الأيام الأخيرة من حياته أدركت حقيقة الأوضاع المتردية التي يعيشها العراق وطبيعة الظروف التي تحيط بالمغفور له المرجع السيد الحكيم.

ومن أجل ذلك كان الإمام يهتم بالتحدث إلى الشعب العراقي واستنهاضه، وشرح الظروف التي يعيشها والمأساة التي يعانيها، كما تحدث في مناسبات كثيرة من خلال البيانات واللقاءات العامة عن مظلومية هذا الشعب والأمة وتكالب قوى العدوان والطغيان عليه ... وما يعانيه الصالحون من أبنائه وعلمائه على أيدي العفالة المجرمين.

توجيهات الإمام في الساحة الإسلامية العراقية

وأود بهذه المناسبة أن أشير إلى مجموعة من النقاط التي تشكل بحسب فهمي جانباً من المنظور العام لتوجهات الإمام في القضية الإسلامية العراقية، لمستها عن قرب ومن خلال اللقاءات الكثيرة مع والأحداث المتعددة.

أ - الاعتماد على القاعدة الشعبية

* الاهتمام بأن يكون التحرك الإسلامي والمقاومة الإسلامية نابعة من الأوساط الشعبية، بحيث تصبح هذه الأوساط بنفسها مدركة لطبيعة مسؤولياتها ... من ناحية، وقادرة على المواجهة الحقيقية مع قوى الشر والطغيان من ناحية أخرى، بما تملك من طاقات وإمكانات هائلة.

وقد لاحظت ذلك أيضاً من خلال قبوله لاستقبال جماهير أبناء الشعب العراقي المتواجدين في إيران. فعندما طلبت منه ذلك في الذكرى الأولى لاستشهاد آية الله الصدر تحدث إليهم بشكل خاص، وكذلك من خلال قبوله لاستقبال المجاهدين العراقيين في مناسبات متعددة.

ب - القيادة العلمية

وإلى جانب ذلك إعطاء الأهمية الخاصة بأن تكون قيادة المسيرة بيد العلماء وخط المرجعية والحوزة العلمية.

ويبدو ذلك واضحاً من خلال حديثه في اللقاء الأول مع جماعة العلماء التي تم تأسيسها بعد أن قدمت له تقريراً عن تأسيسها وأشخاصها وتفاصيل ظروفها، ووافق لأول مرة أن يكون له ممثل فيها بعد أن طلبت منه ذلك في اللقاء الأول لجماعة العلماء مع الإمام، وذلك قبل ما يزيد على تسع سنوات، حيث عيّن سماحته آية الله السيد الخامنئي الذي كانت له مساع حميدة في إنجاح مشروع

هذه الجماعة والاهتمام بالقضية الإسلامية العراقية. وفي حديثه مع جماعة العلماء أكد على دور العلماء الروحانيين ومحاولات الاستعمار لعزلهم عن الأمة وتشويه صورتهم وإضعاف دورهم فيها، وذكر بعض المعاناة في إيران تجاه هذا الموضوع أيام (رضا شاه) الأب، وكيف كان العلماء والروحانيون يواجهون السخرية من قبل بعض الأوساط؟ بسبب ضغط النظام، وأن العلماء هم الذين يمكنهم أن يجمعوا كلمة الأمة، وأن اتفاقهم سوف يؤدي إلى نجاح التحرك في العراق ... كما أنه في حديثه مع المجلس الأعلى ركز على ضرورة الاهتمام بالأمة وتوجيهها والإخلاص في العمل ووحدة الكلمة.

وكان أكثر أعضاء المجلس الأعلى الذين استقبلهم الإمام من العلماء.

ج - عدم التدخل المباشر في القضية سياسياً

* التزام الإمام بسياسة عدم التدخل المباشر في هذه المرحلة بالقضية الإسلامية العراقية والاكتفاء بإعطاء التوجيه العام فيها فحسب، وقد لاحظت ذلك من خلال الموقف العام تجاه مشروع المجلس الأعلى للثورة الإسلامية، حيث وافق بعد فترة من تأسيس المجلس الأعلى على استقبال أعضاء المجلس، ولكن لم يوافق على تعيين ممثل خاص له في المجلس بعد الطلب المستمر منه بهذا الشأن، وإن كان قد أوكل لسماحة آية الله السيد الخامنئي الاهتمام بالقضية العراقية، ومع ذلك عندما شرح له سماحة آية الله السيد

الخامنئي الظروف الموضوعية التي تجعل استقبال المجلس الأعلى من قبل الإمام ذا مصلحة إسلامية وافق الإمام على ذلك. وقام مكتب الإمام بالاتصال بي - وكنت حينذاك مسافراً إلى الجبهة (منطقة حاج عمران)، في عمليات والفجر الثانية^١ - من أجل ترتيب هذا اللقاء وموعده.

د - دفع العراقيين باتجاه الاعتماد على النفس

* السعي لأن يتحمل العراقيون أنفسهم مسؤولية القضية السياسية الإسلامية وإيصالهم إلى درجة الرشد والاكتفاء الذاتي. وذلك باشعارهم بالاعتماد والثقة، وتوجيههم لحل مشاكلهم بأنفسهم، كما أشرت إلى ذلك في موقفه من قضية التصدي، وكذلك الموقف من استشهاد الستة من آل آية الله العظمى السيد الحكيم.

وأذكر بهذه المناسبة أنه حدثت خلافات بين بعض الأطراف الإسلامية رفعت إلى بيت الإمام، وعندما تدخل حجة الإسلام السيد أحمد الخميني بالأمر اكتفى بالسعي لإصلاح الموقف باهتمام وإعطاء التوجيهات العامة للإمام، دون أن يمارس أي لون من الضغط أو الحسم في المسائل المطروحة، وكان من الواضح أنه يسعى لحل الخلافات بدفع الأطراف إلى الحل بأنفسهم، بالرغم من

^١ هكذا ورد في الكلمة إلا أن الظاهر هي عمليات كربلاء الثانية.

وضوح حقيقة الحال لدى الإمام، وبيت الإمام والذي عبّر عنه في مناسبات عديدة.

كما أنه من شدة اهتمامه بالقضية الإسلامية والسعي لدعمها مادياً وبشكل ذاتي أجازني بصرف الحقوق الشرعية في القضايا المرتبطة بها، مع أنه يتحرج كثيراً في صرف الحقوق في غير المجالات المعروفة لصرفها، وهي الحوزات العلمية ومؤسساتها كالمساجد والمدارس ... لأن تلك المجالات تعتمد على هذا النوع من الأموال، حيث أفسّر هذه الإجازة بسبب الاهتمام بالقضية الإسلامية في العراق ومحاولة ربط العراقيين بها دينياً، بالإضافة إلى إدراكه للظروف الصعبة التي تعيشها القضية من جميع جوانبها وبالخصوص الجانب المالي.

وكان اهتمامه بجماعة العلماء والمجلس الأعلى وغير ذلك من الاهتمامات يعبر عن ذلك أيضاً؛ لأنه يرى ضرورة تكامل هذه القضية ووصولها إلى الرشد المعنوي والمادي والسياسي.

هـ- السعي لحل مشكلات القضية العراقية

* السعي لحل المشاكل الرئيسية التي تواجه القضية الإسلامية في العراق من خلال تعقيدات بعض الأجهزة في الجمهورية الإسلامية بسبب ظروف الثورة ومواقف بعض العناصر، فقد تدخل الإمام قدس سره وأعطى توجيهاته بضرورة حل هذه المشاكل على مستوى حرس الثورة الإسلامية، وأتذكر بهذه المناسبة أن نجله حجة الإسلام السيد أحمد أبلغ ممثل الإمام في حرس الثورة أن

الإمام أمر بحل جميع المشاكل التي يواجهها السيد الحكيم فيما يتعلق بالقضية الإسلامية، وكان ذلك بعد أن كنت عرضت على سماحة الإمام وجود هذه المشاكل بشكل إجمالي. كما أنه قدس سره أصدر أمره بحل جميع مشاكل الأخوة العراقيين في إيران بعد قرار وقف إطلاق النار، وعلى أثر ذلك عقدت عدة اجتماعات واتخذت قرارات عديدة من رئيس الجمهورية حينذاك آية الله السيد الخامني.

و- الوحدة في الأمة

لقد كانت قضية الوحدة بين أطراف المعارضة الإسلامية في العراق قضية مركزية في نظر الإمام قدس سره، أكد عليها في حديثه في اللقاء الأول مع جماعة العلماء، وأيضاً في اللقاء الأول مع المجلس الأعلى كما كان يؤكد على ذلك خلال لقاءاتي الخاصة به.

وكان يبدو عليه الارتياح عندما كنت أعرض عليه موقفاً موحداً وكان يستجيب لمتطلبات هذا الموقف الموحد فوراً. ولذلك رحب بسرعة بفكرة جماعة العلماء؛ لما كانت تجسده من منطلق عقائدي ووحدة في الساحة.

وبالرغم من أنه كان يدرك أن بعض القضايا لا يمكن تجاوزها في العمل وقد تؤدي إلى الخلاف، خصوصاً تلك القضايا التي ترتبط بالحالة الثورية أو التخلف السياسي أو الشجاعة الكافية في تبني المواقف الساخنة، إلا أنه قدس سره كان يتخوف من هوى

النفس وحب الجاه؛ ولهذا كان يؤكد على هذا الجانب في أحاديثه العامة والخاصة؛ لأن هذا السبب هو الذي ينتهي بالقضية إلى الهاوية.

وبسبب توجيهات الإمام - على ما أعتقد - وحرصه وحرص ممثليه تمكنت الأطراف الإسلامية أن تتجاوز الكثير من قضايا الخلاف، وتحقق هذا المستوى من الوحدة في وجهات النظر والمواقف السياسية والعمل المشترك، الذي تجسد في أطروحة المجلس الأعلى للثورة الإسلامية، كما تمكنت الأطراف الإسلامية أن تتجاوز باستمرار وتتعاون في كثير من المجالات، وتمكنت أن تحقق الانجازات الكبيرة في الساحة، وأهمها القوة العسكرية المنظمة، وإقامة مجموعة من المؤتمرات والنشاطات السياسية.

وفي الختام أسأله تعالى أن يتغمده برحمته الواسعة، وأن يوفقنا والمسلمين جميعاً للاقتداء به وبالصالحين من عباد الله، وأسأله أن يجعلنا قدوة صالحة للسالكين، وأدعو جميع المسلمين للتأمل في سيرة إمام الأمة وسيرة النبي والأئمة الهداة من أهل بيته والتأسي بهم والله سبحانه الموفق للصواب، والحمد لله رب العالمين.

ملاحظة: تمت كتابة هذا البحث في محرم الحرام سنة ١٤٠٦ وأدخلت عليه بعض التعديلات البسيطة ليناسب رحلة الإمام (قدس سره).

هذه المحاضرة ألقاها السيد الشهيد الحكيم قدس سره في المؤتمر الثامن للفكر الإسلامي الذي انعقد في طهران في شهر رجب ١٤١٠هـ ق حول الشخصية القيادية للإمام الخميني رحمه الله.

وقد تم حذف بعض الفقرات من الكلمة وهي التي تخص شخصية سماحة الشهيد رحمه الله ولا ترتبط بالإمام ومن أراد المحاضرة كاملة عليه مراجعة الكتيب الصادر عن المؤتمر.

وثائق تحكي العلاقة

بين

السيد الشهيد الصدر

والإمام الخميني رحمهما الله

رسائل الشهيد الصدر(ره) إلى الإمام الخميني(ره) وثور الشعب
الإيراني

الرسالة الأولى: وهي موجهة إلى الشعب الإيراني قبل الانهيار

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على محمد خير خلقه وعلى الهداة الميامين
من آل الطاهرين.

وبعد: فإننا في النجف الأشرف إذ نعيش مع الشعب الإيراني بكلّ قلوبنا، ونشاركه آلامه وآماله، نؤمن أنّ تاريخ هذا الشعب العظيم أثبت أنّه كان ولا يزال شعباً أبيضاً شجاعاً، وقادراً على التضحية والصمود من أجل القضية التي يؤمن بها، ويجد فيها هدفه وكرامته. ونحن إذا لاحظنا مسيرة هذا الشعب النضاليّة خلال الفترة المنظورة من هذا القرن، وجدنا أنّه خاض فيها بكلّ بطولة وإيمان عدداً من المعارك الباسلة في سبيل الحفاظ على كرامته، وتحقيق ما آمن به من طموحات خيرة، وأهداف عالية، فمن قضية (التبغ) التي استطاع فيها هذا الشعب العظيم أن يكسر الطوق الذي أراد حكّامه ومخدوموهم المستعمرون أن يطوّقوا به وجوده، إلى قضايا (المشروطة) التي قاوم فيها الشرفاء الأحرار من أبناء هذا البلد الكريم ألوان التحكّم والاستبداد، في وقت كان العالم الإسلاميّ فيه

غارقاً في أشكال مؤلمة من هذا الاستبداد، إلى الممارسات الفعلية لهذا الشعب المكافح التي قدّم من خلالها حجماً عظيماً من التضحيات، ولا يزال يقدم، وهو يزداد يوماً بعد يوم إيماناً وصدوراً وتأكيداً على روحه النضالية.

بين هذه الملاحم النضالية يبدو عمق الشخصية المذهبية للفرد الإيراني المسلم، والدور العظيم الذي يؤديه مفهومه الديني، وتمسّكه العميق بعقيدته ورسالته ومرجعياته في مجالات هذا النضال الشريف. وفي كلّ هذه الملاحم نلاحظ: أنّ الروح الدينية كانت هي المعين الذي لا ينضب للحركة، وأنّ الشعارات الإسلامية العظيمة كانت هي الشعارات المطروحة على الساحة، وأنّ المرجعية الرشيدة كانت هي الزعامة التي تلتفّ حولها جماهير الشعب المؤمنة، وتستلهمها في صمودها وجهادها، ولا توجد هوية لشعب أصدق انطباقاً عليه وتجسيداً لمضمونه من الهوية التي يتجلّى بها في ساحة الجهاد والبذل والعطاء، ولم يعبر شعب عن حرّيته النضالية تعبيراً أوضح وأجلى بما عبّر به الشعب الإيراني المسلم عن هويته الإسلامية، في كلّ ما خاضه من معارك شريفة كانت التعبئة لكلّ واحد منها تتسم باسم الإسلام، وكانت المشاعر والقلوب تتجمّع على أساسه، وكانت القوى الروحية والمرجعية الصالحة هي التي تتقدّم المسيرة في نضاله الشريف. ولئن كان الشعب الإيراني قد عبّر عن هويته النضالية الأصلية باستمرار، فإنّ نهضته الحية المعاصرة لهي التعبير الأروع عن تلك الهوية النضالية المؤمنة، التي عبّر بها الشعب الإيراني عن نفسه ولا يزال، وهي من أعظم ذخائر الإسلام

وطاقتها التي يملكها في التاريخ الإسلامي الحديث.
وتشير هذه الهوية النضالية من خلال التجارب الجهادية التي مارسها ولا يزال يمارسها شعب إيران المسلم إلى عدد من الحقائق تبدو واضحة كلّ الوضوح، ومن الضروريّ أن تشكّل إطاراً أساسياً ثابتاً لرؤية هذا الشعب لطريقه.

ومن تلك الحقائق الثابتة: أنّ الشعب الإيرانيّ كان يحقّق نجاحه في نضاله بقدر التحامه مع قيادته الروحية ومرجعته الدينية الرشيدة التحاماً كاملاً. واستطاع هكذا أن يحوّل الشعارات التي نادى بها إلى حقيقة. وما من مرّة غفل فيها هذا الشعب المجاهد عن هذه الحقيقة أو استغفل بشأنها إلاّ وواجه الضياع والتآمر، فالمرجعية الدينية الرشيدة والقيادة الروحية هي الحصن الواقي من كثير من ألوان الضياع والانحراف.

ومن تلك الحقائق: أنّ القيادات الروحية كانت تقوم بدورها هذا وتنجزه إنجازاً جيّداً، بقدر ما يسودها من التلاحم والتعاقد والوقوف جنباً إلى جنب. وما من مرّة استطاع الشعب الإيرانيّ المسلم أن يحقّق نصراً إلاّ وكان للتلاحم والتعاقد المذكور دور كبير في إمكانية تحقيق هذا النصر.

ومن تلك الحقائق أيضاً: أنّ المباراة الشريفة لكي تضمن وصولها إلى هدفها الإسلاميّ لا بدّ أن تتوفر في ظلّها نظرة تفصيلية واعية وشاملة لرسالة الإسلام ومفاهيمها وتشريعاتها في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية.

وبقدر ما تتوفر من أساس فكريّ ورصيد عقائديّ للمبارزة -

هذه النظرة التفصيلية التي تميّز المعالم الفكرية للهوية النضالية - تكتسب المبارزة القدرة أكثر فأكثر على ممارسة التغيير، وتحقيق أهدافها الإسلامية، وحماية شخصيتها العقائدية من تسلل الآخرين.

وهكذا نرى أنّ المبارزة الشريفة التي تقود الشعب الإيراني المسلم في كفاحه تدعو اليوم - أكثر من أي يوم مضى - بعد أن وصلت إلى هذه المرحلة الدقيقة من مسيرتها، واكتسبت ولاء الأمة - كلّ الأمة - على الساحة، أقول: إنّها مدعوة اليوم - أكثر من أي يوم مضى - إلى أن تنظر بعين إلى الحاجات الفعلية لمسيرتها، وتنظر بعين أخرى إلى حاجاتها المستقبلية، وذلك بأن تحدّد معالم النظرة التفصيلية من الآن فيما يتّصل بأيدولوجيتها ورسالتها الإسلامية الشريفة، وكما أنّها مرتبطة في النظرة الأولى إلى الحاجات الفعلية للمسيرة وتقييمها وتحديد خطواتها بالمرجعية الدينية المجاهدة كذلك لابدّ أن ترتبط بالنظرة الثانية - وفي تحديد معالم أيدولوجية إسلامية كاملة - بالمرجعية الدينية الرشيدة التي قادت كفاح هذا الشعب منذ سنين؛ لأنّ المرجعية هي المصدر الشرعي والطبيعي للتعرف على الإسلام وأحكامه ومفاهيمه.

كما نرى - أيضاً - أنّ المبارزة الشريفة قد حققت مكسباً كبيراً حينما أفهمت العالم كلّه بخطأ ما كان يتصوّره البعض: من أنّ الإسلام لا يبرز للساحة إلاّ كمبارز للماركسيّة، وليس من همّه بعد ذلك أن يبارز الطبقة الأخرى، فإنّ هذا التصوّر كان يستغلّه البعض في سبيل إسباغ طابع التخلف والتبعية على المبارزة الإسلامية، وقد تمزّق هذا التصوّر من خلال المبارزة الشريفة التي برزت على

الساحة الإيرانية باسم الإسلام، وبقوّة الإسلام، وبقيادة المرجعية الدينية الرشيدة؛ لتقاوم كياناً أبعد ما يكون عن الماركسيّة والماركسيين.

وقد أثبت ذلك: أنّ الإسلام له رسالته وأصالته في المبارزة، وأنّ الإسلام الذي يقاوم الماركسيّة هو نفسه الإسلام الذي يقاوم كلّ ألوان الظلم والطغيان، وأنّ على المبارزة الشريفة - وقد آمن الشعب الإيرانيّ بقيادته الإسلاميّة - أن تكون على مستوى هذه المرحلة، وأن تدرك بعمق ما يواجهها من عداء عظيم لتحقيق أهدافه الكبيرة في عمليّة التغيير؛ لأنّ بناء إيران إسلامياً ليس مجرد تغيير في الشكل والأسماء، بل هو - إضافة إلى ذلك - تطهير للمحتوى من كلّ الجذور الفاسدة، وملء المضمون ملاً جديداً حياً تتدفق فيه القيم القرآنيّة والإسلاميّة في مختلف مجالات الحياة.

ولا شكّ في أنّ البطولة الفريدة التي تحقّقت بها المبارزة في عمليّة مكافحة الواقع الفاسد وهدمه تؤكّد كفاءتها لإدراك هذه المسؤوليّات وعمقها الروحيّ والاجتماعيّ والتاريخيّ.

ونسأل المولى - سبحانه وتعالى - أن يرعى التضحيات العظيمة التي يقدّمها الشعب الإيرانيّ المجاهد بقيادة علمائه، ويجعل من الدماء الطاهرة التي أراقها السفّاكون على الساحة شموعاً تُضيء بالنور؛ لتخرج إيران من ظلمات الاستبداد والانحراف إلى تطبيق الإسلام الشامل في كلّ مجالات الحياة.

وليست القافلة الأخيرة من الضحايا في مدينة (مشهد) المقدّسة إلاّ حلقة جديدة من مجازر الطغاة.

تغمّد الله الشهداء بعظيم رحمته، وألحقهم بشهادتنا السابقين
والصديقين والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، والعاقبة للمتقين،
وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون^١.

محمد باقر الصدر

رسالة الشهيد الصدر إلى الرئيس الوزراء بختيار اسمها على إغلاق مطارات إيران لعودة الإمام الخميني

جناب الدكتور بختيار

باسم المرجعية وعلماء النجف الأشرف أقدم استنكاري الشديد
لغلق مطارات البلاد، في الوقت الذي عزم فيه آية الله العظمى
الخميني على العودة، ويتربّ الملايين من الإخوة المسلمين في
إيران وفي جميع أرجاء الدنيا عودته؛ لكي يضطلع بدوره القيادي
للشعب، وينهض بمسؤوليته التاريخية والإسلامية العظيمة، ويهدي
البلد من ظلمات الجهل واللا دينية إلى نور الإسلام وأشعة الإيمان.
وإنّي آمل أن تكفّ عن التصنّعات غير الشرعية أمام إرادة
الشعب المسلم الذي لا يرضى بقيادة غير قيادة العلماء، وأن تعلن
استقلالك لأجل تعييد الطريق أمام الشعب الإيراني المسلم الذي
يهتدي بزعامة العلماء، وإلا فسوف لن يعذرك الله ولا تاريخ هذا

^١ هذه الرسالة قرأها أستاذنا الشهيد قدس سره في مكالمة هاتفية من النجف الأشرف
إلى بيت السيد الإمام - دام ظلّه - في باريس. (نفس عبارة آية الله السيد كاظم الحائري).

الشعب الغيور والله وليّ التوفيق.

النجف الأشرف - محمّد باقر الصدر^١.

^١ انظر: شهيد الأمة وشاهدها ١٣١: ٢.

الرسالة الثانية: وهي موجهة بُعيد الانسحاب إلى طلابه الذين كانوا قد هاجموا إبراهيم، وإليكم هذه الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم
أولادي وأعزائي، حفظكم الله بعينه التي لا تنام.
السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

أكتب إليكم في هذه اللحظات العظيمة التي حَقَّق فيها الإسلام نصراً حاسماً وفريداً في تأريخنا الحديث على يد الشعب الإيراني المسلم، وبقيادة الإمام الخمينيِّ دام ظلّه، وتعاضد سائر القوى الخيرة، والعلماء الأعلام، وإذا بالحلم يصبح حقيقة، وإذا بالأمل يتحقّق، وإذا بالأفكار تنطلق بركاناً على الظالمين؛ لتجسّد، وتقيم دولة الحقّ والإسلام على الأرض، وإذا بالإسلام الذي حبسه الظالمون والمستعمرون في قُمِّم يكسر القمقم بسواعد إيرانية فتية لا ترهب الموت، ولم يشنّ عزيمتها إرهاب الطواغيت، ثمّ ينطلق من القمقم ليزلزل الأرض تحت أقدام كلّ الظالمين، ويبعث في نفوس المسلمين جميعاً - في مشارق الأرض ومغاربها - روحاً جديدةً وأملاً جديداً.

إنّ الواجب على كلّ واحد منكم، وعلى كلّ فردٍ قدّر له حظّه السعيد أن يعيش في كنف هذه التجربة الإسلامية الرائدة أن يبذل كلّ طاقاته وكلّ ما لديه من إمكانيات وخدمات، ويضع ذلك كلّهُ في خدمة التجربة، فلا توقّف في البذل، والبناء يشاد لأجل الإسلام، ولا حدّ

للبدل، والقضية ترتفع رايته بقوة الإسلام، وعملية البناء الجديد بحاجة إلى طاقات كل فرد مهما كانت ضئيلة.

ويجب أن يكون واضحاً أيضاً: أن مرجعية السيد الخميني — دام ظلّه — التي جسّدت آمال الإسلام في إيران اليوم لا بدّ من الالتفاف حولها، والإخلاص لها، وحماية مصالحها، والدوبان في وجودها العظيم بقدر ذوبانها في هدفها العظيم، وليست المرجعية الصالحة شخصاً، وإنما هي هدف وطريق، وكلّ مرجعية حققت ذلك الهدف والطريق فهي المرجعية الصالحة التي يجب العمل لها بكلّ إخلاص. والميدان المرجعيّ أو الساحة المرجعية في إيران يجب الابتعاد بها عن أيّ شيء من شأنه أن يضعف أو لا يساهم في الحفاظ على المرجعية الرشيدة القائدة.

أخذ الله بيدكم، وأقرّ عيونكم بفرحة النصر، وحفظكم سنداً وذخراً. والسلام عليكم يا أحبّتي ورحمة الله وبركاته.

التوقيع: أبوكم

برقية موجّهة إلى الشعب العربي في إيران حينما سماول بعض العلماء الشعب على الثورة القوميّة ضد الثورة الإسلاميّة

بسم الله الرحمن الرحيم

شعبنا العربي المسلم العزيز في إيران المجاهد، السلام عليكم
ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فإنّي أخطبكم باسم الإسلام، وأدعوكم - وسائر شعوب
إيران العظيمة - لتجسيد روح الأخوة الإسلاميّة التي ضربت في
التاريخ مثلاً أعلى في التعاضد والتلاحم في مجتمع المتقين الذي لا
فضل فيه لمسلم على مسلم إلاّ بالتقوى، مجتمع عمّار بن ياسر،
وسلمان الفارسي، وصهيب الرومي، وبلال الحبشي، مجتمع القلوب
العامرة بالفكر والإيمان، المتجاوزة كلّ حدود الأرض المفتوحة
باسم السماء ورسالة السماء، فلتتوحّد القلوب، ولتنصهر كلّ الطاقات
في إطار القيادة الحكيمة للإمام الخمينيّ دام ظلّه، وفي طريق بناء
المجتمع الإسلاميّ العظيم الذي يحمل مشعل القرآن الكريم إلى
العالم كلّه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمد باقر الصدر - النجف الأشرف (١٦ رجب)

نص رسالة بعثها الشهيد الصدر لتهنئة الإمام بالانتصار، وهي
كما يقول سماحة السيد الحائري بعثت من النجف الأشرف مسجلة
بعد ترجمتها إلى الفارسية، وقد تم نقلها إلى الإمام حضورياً من قبل

أصحاب السماحة السيد الحائري والسيد الاشكوري والسيد المهري

وهذا نصّها المترجم:

بسمه تعالى

حضرة آية الله العظمى الإمام المجاهد الخميني دام ظلّه.
أكتب لكم هذه الرسالة في لحظة من أدقّ لحظات تاريخ
الإسلام، لأعبّر عن ثقتي واعتزازي المطلق بالانتصارات الباهرة
للشعب الإيراني المسلم.

هذه الانتصارات المتتالية الكبرى التي تحقّقت بقيادةكم
الحكيمة وعرضت على البشرية أطروحة الإسلام المنقذة بدلاً عن
حضرتي الشرق والغرب وأيدلوجيّتهما المتقابلتين.. هذا الانتصار
العظيم الذي تحقّق بإرادة الشعب الإيراني المسلم العظيمة وفي ظلّ
قيادتكم الحكيمة، وطهر هذه الأرض الإسلاميّة من لوث شبح
طاغوت العصر، وأحى من جديد شرف الشعب الإيراني المسلم
وكرامته المخدوشة.

هذا الانتصار التاريخي الكبير الذي حصل بسعي علماء الإسلام
الأحرار الواعين وجهادهم تحت قيادتكم، وبلغ ثماره بتكاتف
جميع القوى الفكرية والمعنوية والعملية لجماعة العلماء وتلاحمهم
الذي قلّ نظيره في بابه عبر تاريخ علماء الشيعة.

وهذه الوحدة والتكاتف والتلاحم هي التي ضمنت للمجتمع
الإيراني المسلم هذا النصر الإسلامي الكبير.

ونحن في الوقت الذي نتربّص فيه - بأمل كبير من الله تعالى -

مراحل النصر اللاحقة لهذه النهضة الإسلامية العظيمة، نضع جميع وجودنا وإمكاناتنا في خدمة وجودكم العظيم والنهضة الإسلامية المقدسة، ونسأل الله تعالى أن يطيل في عمركم، ويزيد في عزّتكم، ويحقّق آمالنا العتيدة الكبيرة في ظلّ مرجعيّتكم وقيادتكم إن شاء الله تعالى.

محمد باقر الصدر - ٧/ ربيع الأول / ١٣٩٩هـ^١.

^١ انظر: شهيد الأمة وشاهدها ١٣٢: ٢ - ١٣٣.

السيد الصدر (رحمه الله) يعلن عن الانتصار

كان السيد الصدر (رحمه الله) في غاية السرور حين تلقى خبر انتصار الثورة الإسلامية، فقد دخل عليه السيد محمود الخطيب في غرفته في الطابق العلوي فوجده يجتازها ذهاباً وإياباً ويفرك يديه فرحاً، ثم وقف ورفع يديه إلى السماء قائلاً: «الحمد لله.. لقد تحقّق حلم الأنبياء.. الحمد لله»^١.

وفي ليلة انتصار الثورة الإسلامية في ١٣/ربيع الأول/١٣٩٩هـ- (١٩٧٩/٢/١١م) اجتمع طلابه في مسجد الجواهري لاستماع درسه في أصول الفقه بعد صلاة المغرب والعشاء وهم يتناقلون أخبار انتصار الثورة الإسلامية في إيران.

توجّه السيد الصدر (رحمه الله) إلى درس الأصول وبرفقته الشيخ محمد رضا النعماني وكان كل شيء طبيعياً^٢، وقد بلغه خبر سقوط القاعدة العسكرية عشرت آباد في طهران أثناء طريقه إلى الدرس^٣.

دخل السيد الصدر (رحمه الله) مجلس درسه مستبشراً والبشاشة

^١ نقل ذلك السيد محمود الخطيب بتاريخ: ٢٠٠٤/٢/٣م.

^٢ مقابلة مع الشيخ محمد رضا النعماني؛ وانظر: زندگي نامه شهيد آيت الله صدر (فارسي):

٥٥، نقلاً عن السيد عبد العزيز الحكيم.

^٣ ترجمة السيد الصدر، السيد محمد الغروي.

تعلو وجهه، وجلس في مكانه المعتاد ثم قال: «كنا نسمع في التاريخ كيف ينتصر الإيمان على السيف، وكنا نؤمن بذلك غيبياً، أما اليوم فقد جسّد ذلك الإمام الخميني عملياً»^١، «الآن وصلني خبرٌ يفيد بأنّ آخر معقل من معاقل الطاغوت قد سقط بأيدي المسلمين، وقد حقّق الإمام الخميني حلم الأنبياء [والأولياء والأئمة في التاريخ]»^٢، «اليوم انتصر موسى على فرعون وتحققت كافة أحلام الأنبياء. اليوم أسقط آية الله الخميني حكومة الشاه»^٣، «إنّ السيّد الإمام الخميني العظيم قد حقّق آمال الأنبياء والأوصياء والأئمة (عليهم السلام) وتوجّج جهود هؤلاء العظماء بإقامة أنظف وأطهر دولة في التاريخ.. وأنا أطلب منكم أن تؤكّدوا وتركّزوا على مرجعية وقيادة الإمام الخميني، فالعمل الحقيقي هو ما قام به السيّد الإمام، والهدف من المرجعية هو إقامة حكم الإسلام على الأرض، [إنّ الهدف من المرجعية ليس هو قبض الحقّ الشرعي وتوزيعه أو تدريس الفقه وأصوله، بل المسؤولية الكبيرة التي يجب أن نفكّر فيها هي إقامة حكم الله، ولكنّ البعثين لا يسمحون لنا بتنفيذها]»^٤، وقد حقّق هذا الهدف السيّد

^١ ذكر ذلك الشيخ عبد الحليم الزهيري بتاريخ ١٤/١٢/٢٠٠٤م.

^٢ صحيفة لواء الصدر، العدد (٤٤٤)، ١٢/رمضان/١٤١٠هـ- في حديث مع السيّد محمود الهاشمي. وحول سقوط آخر معقل انظر أيضاً: صحيفة (الجهاد)، الاثنين ٧/رجب/١٤٠٤هـ-، في حديث مع السيّد أبي موسى.

^٣ نقش گروه های معارض در روابط ایران و عراق (فارسي): ٧١.

^٤ تلامذة الإمام الشهيد الصدر: ٢٩٩، نقلاً عن السيّد محمّد باقر المهري.

الخميني العظيم، وعلى هذا أطلب منكم أن لا تطرحوا مرجعيتي في إيران^١... فمن قبل بي فهذا منهجي ورأيي، فلا بدّ من ترك الدعوة إلى مرجعيتي وتقليدي في إيران، فإننا نبتغي في حركتنا تحقيق الإسلام وأحكامه ومناهجه، والسيد الخميني قد حقق ذلك، لذا تنبغي الدعوة إليه والالتفاف حول مرجعيته وقيادته^٢.

ثمّ بدأ يتحدث عن أهميّة هذا الانتصار العظيم، متمنياً تحقيق هذا الانتصار في العالم الإسلامي في ظلّ قيادة الإمام الحكيمه، ثمّ أعلن - وحيداً - عن تعطيل درسه ابتهاجاً بهذا الانتصار^٣ لمدة ثلاثة أيام^٤ قائلاً: «ما كو درس اليوم»^٥ و«سوف نجعل غداً عيداً بمناسبة انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران»^٦. ثمّ قام بدعوة طلابه إلى

^١ مواقف قيادية للشهيد الصدر من خلال الثورة الإسلاميّة في العراق، السيد محمّد باقر المهري: ١٢.

^٢ الإمام محمّد باقر الصدر، معايشة من قريب: ١٣٧، نقلاً عن السيد محمّد باقر المهري. ويقصد من «أطهر دولة» في عصر الغيبة كما هو واضح.

^٣ انظر: شهيد الأئمة وشاهدها ١٣٣: ٢؛ قيسات من حياة آية الله السيد محمّد باقر الصدر، حزب الله: ١٣؛ الإمام محمّد باقر الصدر، معايشة من قريب: ١٣٤؛ خفايا وأسرار من سيرة الشهيد محمّد باقر الصدر: ١٢٤.

^٤ حزب الدعوة الإسلاميّة: ٢٥٩. وانظر حول الأمور الثلاثة الأخيرة التي نقلناها: صحيفة (لواء الصدر)، ١٥/جمادى الأولى/١٤٠٥هـ.

^٥ نقل ذلك الشيخ يوسف ديموش في قم بتاريخ: ٢٩/٤/٢٠٠٤م.

^٦ مقابلة مع الشيخ حسن أمهز.

الخروج بمسيرة طلابية تأييداً للثورة الإسلامية. وقد أصرّ على خروج هذه المسيرة من أجل كسر الطوق الذي ضربته السلطة، وقد تمّ اعتقال مجموعة من المشاركين، ولكن سرعان ما أفرج عنهم بعد تدخل السيّد الصدر (رحمه الله)¹.

وفي مكتبه (البراني) راح يهنئ زوّاره بانتصار الثورة ويتحدث لهم عن انتصار الجمهوريّة الإسلاميّة وعن الإسلام وقدرته²، وقد ذكر لتلامذته: «أنا الآن مستعدّ لأن أكون وكيلاً للسيّد الإمام في إحدى القرى العراقيّة»³ وأعلن بشكل واضح اتّباعه السيّد الخميني (رحمه الله) وإطاعته إيّاه⁴.

ومّا قاله: «إنّ الإمام الخميني أثبت كفاءة وقدرة عالية على إدارة الثورة حتّى انتصر ونجح نجاحاً باهراً. والمستقبل يتطلّب منه إدارة الدولة وهي أصعب من إدارة الثورة، وإن شاء الله يثبت كفاءة ونجاحاً كما نجح في مرحلة الثورة»⁵. وكان يقول: «إننا إذا لم نتحرّك ونحرّك أبناء

¹ الإمام محمّد باقر الصدر. معايشة من قريب: ١٢٥.

² الإمام محمّد باقر الصدر. معايشة من قريب: ١٢٦، ١٣٧.

³ مواقف قياديّة للشهيد الصدر من خلال الثورة الإسلاميّة في العراق، السيّد محمّد باقر المهري: ١٣؛ صحيفة (المبلّغ الرسالي)، العدد (١٤٨)، في حديث مع السيّد صدر الدين القبانجي؛ صحيفة (الجهاد)، ١٧/جمادى الثانية/١٤٠٢هـ- في حديث مع الشيخ محمّد رضا النعماني.

⁴ دور فكر الشهيد الصدر في الثورة الإسلامية في إيران: ٢٦٨.

⁵ الإمام محمّد باقر الصدر. معايشة من قريب: ٢٩.

العراق سوف يقوم النظام بضرب كل القوى الإسلاميّة بما فيها الحوزة والمرجعيّة»^١.

وممّا أوصى به طلابه في رسالة بعثها إليهم: «ويجب أن يكون واضحاً أيضاً أنّ مرجعيّة السيّد الخميني التي جسّدت آمال الإسلام في إيران اليوم لا بدّ من الالتفاف حولها والإخلاص لها وحماية مصالحها والذوبان في وجودها العظيم بقدر ذوبانها في هدفها العظيم». وقال: «إنّي صمّمت على التنازل عن كلّ ذاتياتي من أجل هذه القضية الإسلاميّة»^٢.

وكان يقول لمن يعترض على تأييده السيّد الخميني (رحمه الله) والثورة الإسلاميّة: «لو أنّ السيّد الخميني أمرني أن أسكن في قرية من قرى إيران أخدم فيها الإسلام، لما تردّدت في ذلك. إنّ السيّد الخميني حقّق ما كنتُ أسعى إلى تحقيقه....»^٣.

كما نقل عنه قوله: «أن أكون بقالاً في شيراز في ظلّ حكومة الإمام الخميني أحبُّ إليّ من مرجعيّة السيّد أبو الحسن الإصفهاني (رحمه الله) في ظلّ حكومة صدام»^٤.

وكثيراً ما كان يقول ما مضمونه: «إنّ من أمّيتي أن تقام حكومة

^١ صحيفة المبلّغ الرسالي، العدد (١٠٨) في حديث للسيّد محمّد الحيدري.

^٢ من نظرات جماعة العلماء: ٢٨.

^٣ شهيد الأمة وشاهدها ٢٦٢: ١؛ مقابلة مع الشيخ محمّد رضا النعماني.

^٤ نقل ذلك الأستاذ عبد الرزاق الصالحي.

إسلامية فأقوم بخدمتها حتى وإن كانت الخدمة متواضعة» وكان يمثل بكس الأَرْض، ويقول: «إنني أرغب في أن أجد كل طاقاتي وكل أفكارِي في سبيل الثورة الإسلامية»^٢.

رسالة الأحرار حماد بن محمد فيها عن نشوة الانتصار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

....أكتب إليكم هذه السطور ولا تزال صورتكم ملاً عيني وقلبي ولا تزال تلك اللحظات السعيدة التي جمعت بيننا كياناً بعد أن جمعنا التاريخ والنسب والحبّ وجداناً وعاطفةً وأملاً وألماً.
لا يزال إحساسي بتلك اللحظات يزداد مع الفراق رسوخاً.
وما أشدّ شعوري يا ابن العم العزيز بالحاجة إلى تجديد تلك اللحظات واللقاءات في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ إيران العزيزة وفي خضمّ هذه الفرحة العظيمة التي تغمرنا جميعاً ونحن نعيش نشوة انتصار الشعب الإيراني المسلم، وتحقق الأهداف العظيمة في إقامة الدولة الإسلامية على يده بقيادة الإمام الخميني، والتعاضد بين كلّ القوى الخيرة والعلماء الأعلام.

^١ صحيفة (بدر)، العدد (٥٣)، في حديث مع الشيخ محسن الأراكي.

^٢ مقابلة مع الشيخ علي حجّتي الكرمانی، نقلاً عن السيّد محمود الهاشمي.

إنّ المشاعر تجاه هذا النصر أكبر من الكلمات لأنّها مشاعر أمة طال
انتظارها لهذا الفتح المبين.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته^١.

برقية الإمام الخميني (قدس سره)
إلى الشهيد السيد محمد باقر الصدر

سماحة حجة الإسلام والمسلمين الحاجّ السيّد محمد باقر
الصدر، دامت بركاته:

علمنا أنّ سماحتكم تعتزمون مغادرة العراق بسبب بعض
الحوادث، إنني لا أرى من الصالح مغادرتكم مدينة النجف
الأشرف مركز العلوم الإسلاميّة، وإنني قلق من هذا الأمر، أمل - إن
شاء الله - إزالة قلق سماحتكم، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
روح الله الموسويّ الخميني.

^١ انظر الوثيقة رقم (٥٢٩).

جواب السيد الشهيد عن برقية الإمام:

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله العظمى الإمام المجاهد السيد روح الله الخميني،
دام ظلّه.

تلقيت برقيتكم الكريمة التي جسدت أبوتكم ورعايتكم
الروحية للنجف الأشرف الذي لا يزال منذ فارقتكم يعيش
انتصاراتكم العظيمة، وإنني أستمدّ من توجيهكم الشريف نفحة
روحية، كما أشعر بعمق المسؤولية في الحفاظ على الكيان العلمي
للنجف الأشرف، وأودّ أن أعبر لكم بهذه المناسبة عن تحيات
الملايين من المسلمين والمؤمنين في عراقنا العزيز، الذي وجد في
نور الإسلام الذي أشرق من جديد على يدكم ضوءاً هادياً للعالم
كلّه، وطاقه روحية لضرب المستعمر الكافر والاستعمار الأمريكي
خاصّة، ولتحرير العالم عن كل أشكاله الإجرامية، وفي مقدمتها
جريمة اغتصاب أرضنا المقدّسة فلسطين، ونسأل المولى - سبحانه
وتعالى - أن يمتّعنا بدوام وجودكم الغالي، والسلام عليكم ورحمة
الله وبركاته.

الخامس من رجب (١٣٩٩ هـ) النجف الأشرف

محمد باقر الصدر

القمني... موسيقى الملوك
حينما يكون العزف لروح الله ينفلت اللحن!

أعرني اشتعالاً علني أوقظُ الدّمَا

وأحيي كياناً داخلَ الروحِ حُطّماً

فيا والدي في الهمّ: يتمُّ مبادئي

يجرّ عني حزن البطولات مؤلماً

أجيؤك في عمق التلاوات قارئاً

حروفك معراجاً من العشق لغماً

تحاصرني عن موعد الصحو فتنة

تزيّف وجه الموت طيباً وبلسماً

أعرني ضحى جرحٍ لعلّ نزيفه

يذوّب وهم الليل يمحو التوهّما

ففي كلّ شبر من حياتك ثورةٌ

إلهية المسرى حسينية الدّما

.....

فيا ساقياً حلمَ النبيّن عمره

حنانكَ وامنحني انتصاراً على الظما

فقد جئتُ تواقاً إلى اللغز داخلي

سؤالٌ تمشّى في رحابك محرماً

أهل كنتَ جبريلاً تأبى على النهى

فعدا غريباً يسرع الخطو للسمّا!

بكنهكَ ألهمني صفاءك ربّما

تكشّفُ للدنيا الحقيقةً ربّما..

...

حملتك في نسكي صلاةً وقبلهً

وفي جذب أيامي غديراً وزمزما

إذا جفّ ميلادي ذكرك نهديةً

تعيد لي النشأ الذي كان أعدما

هنا أحرفي أسرى جراحاتك التي

تصيرني عند التأمل أبكما

هنا لغتي أدت قرابين طهرها

وهذا يراعي بين أحضانك ارتمي

فصغني كما شاء الجمال أراكما

إذا أنصف التاريخ عينك توأما!

السيد أمير العلي

١٤٢٧هـ

عوامل القدوة

في

شخصية الإمام الخميني قدس سره

سماحة آية الله الشيخ عباس الكعبي

إهداء: السيد زكي السادة

عوامل القدوة في شخصية الإمام الخميني قده

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الأنام المصطفى أبي القاسم محمد(ص) وعلى آله الطيبين الطاهرين لاسيما بقية الله في الأرضين. نتشرف بهذا اللقاء المبارك مع دار الولاية للثقافة والإعلام بمناسبة الذكرى السنوية لرحيل الإمام الخميني(قدس سره) لتتحدث عن شخصيته العظيمة.

أولاً: أتصور أن الإمام الخميني قده يتمتع بمواصفات خلاصتها الإقتداء الصادق والواضح والصحيح بالرسول الأكرم(ص) والأئمة الأطهار(عليهم السلام) في مجال معرفة الإسلام وهداية الناس، ومحاولة تطبيق الإسلام في الحياة الفردية والاجتماعية حيث صنعت من شخصية الإمام الراحل قائداً مثالياً في عصر الغيبة. فالإمام الراحل استطاع أن يتحول إلى عالم بما للكلمة من معنى، كما جاء في الروايات (عالم رباني)، قد يكون عالماً ربانياً وله معرفة شمولية بالإسلام، جامع المعقول والمنقول - حسب عرف الحوزة والإسلام المحمدي الأصيل - مع معرفة صحيحة وكاملة برؤية متكاملة.

ثانياً: إنه استطاع أن يدمج بين النظرية والتطبيق في سلوكه الفردي وفي تبليغه للدين، وفي معرفته الحوزوية وفي جميع المجالات، وبالمناسبة نحن نعتقد أن الإسلام هو نظرية وتطبيق، فمثلاً يأتي شخص وي طرح مجموعة من الأفكار والمبادئ والقيم والسلوكيات لكنها تكون فقط مجرد تنظير لا غير، ولا تمت بصلة إلى الواقع والمجتمع، وأمثال ذلك، هذا ليس إسلاماً، نحن

عندما ننظر إلى أحاديث الرسول الأعظم (ص) عندما يعرف العلم يقول: (إنما العلم ثلاثة آية محكمة أو فريضة عادلة أو سنة قائمة وما خلاهن فهو الفضل)^١ بنظرة أولية لهذه الرواية الشريفة نقول: إن المراد من الحديث هو العقائد والأخلاق والفقه، وهذا هو العلم.. لكن الواقع أن الرواية لا تقصد هذا المعنى، الرواية تقول: (آية محكمة) يعني آية من آيات الله التي فيها إحكام، بمعنى أنه معرفة ربانية تغرس الإيمان في القلوب، وإلا مجرد علم ومعرفة نظرية من دون أن تغرس الإيمان في القلب هذا لا يسمى علماً، (أو سنة قائمة) سنة قائمة يعني: سيرة وسلوك تُنفَّذ وتُطبَّق، (سنة قائمة) يعني منهج متكامل جارٍ ويطبق في العمل، وليس لقلقة لسان ويريد أن يحصل التغيير، (وفريضة عادلة) فقه يؤدي إلى تطبيق العدالة والوصول إلى أهداف الإسلام، من خلال هذه الرواية نعرف أن الإسلام نظرية وتطبيق؛ ولأنه نظرية وتطبيق اقتضى الأمر بأن يكون إلى جنب أن العالم يعرف الإسلام ينبغي أن يسعى جاهداً لتطبيق الإسلام وحاكمة الدين، والرسول الأعظم (ص) ما كانت مهمته فقط تلاوة الكتاب والتزكية والتعليم، وبيان الأحكام، ويبقى جانباً، بل كان يقود الأمة، لصناعة الأمة الإسلامية والوصول إلى الأهداف المتوخاة عبر خطة ربانية شاملة، طبقها في حياته وقاد الأمة بصدق، لذلك القرآن الكريم يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^٢ فالأمة تحتاج إنساناً صادقاً يقودها بكل ما تحمل كلمة الصدق والإخلاص من معنى، بحيث

^١ أصول الكافي، المجلد الأول، كتاب فضل العلم، باب صفة العلم وفضله، ح: ١.

^٢ سورة التوبة، الآية: ١١٩.

يجسد المفاهيم الإسلامية على الواقع، نحن نحتاج إلى الإمام والقائد الإلهي لتجسيد الإسلام في حياته، الإمام أسوة من هذه الناحية، الإمام إنسان إلهي بما للكلمة من معنى، تأسى بالرسول الأكرم (ص) والأئمة الأطهار (عليهم السلام)، الله سبحانه وتعالى يخاطبنا بأن نتأسى بالرسول الأكرم (ص) فيقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^١ فالحقيقة هي اتباع أثر الرسول (ص) واتباع أثر الأئمة (عليهم السلام)، هذا هو الأساس.

أتصور أن الإمام الخميني (ره) صار قدوة من خلال هذه نقطة المهمة والحساسة ألا وهي الاتباع والتأسي، لكن كيفية الإتيان وكيف تكون؟ نقول في ثلاث مجالات:

أولاً: تبيين الإسلام.

ثانياً: هداية الناس.

ثالثاً: محاولة تحقيق حاكمية الدين.

هذه العناوين الثلاثة تتلخص بعنوان أعم، وهو (القيام لله) الإمام كان قائماً لله، كما في الآية الشريفة، حيث كان (قدس سره) كثيراً ما يستشهد بها في مسيرته النورانية؛ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾^٢ فهو عمل بهذه الآية. وفي صحيفة النور توجد كلمة للإمام الراحل (قدس سره)، كانت أول وثيقة تاريخية عرفت من الإمام الخميني (ره) في سنة ١٣٦٣ هـ أي ما يقارب ١٥ أو ٢٠ سنة قبل حادثة ١٥ خرداد، وبعبارة قبل ٦٥ سنة، بل أكثر،

^١ سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

^٢ سورة سبأ، الآية: ٤٦.

أتى إلى الإمام شخص اسمه وزيرى، يحمل معه تقويماً يأخذ من العلماء نصائح، يكتبون فيها من العلماء الكبار في زمن السيد البروجردى، فأتى إلى الإمام وطلب منه أن يكتب نصيحة، الإمام كتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ ثم كتب بين قوسين (اقرأوا واعملوا) ليس فقط قراءة من دون عمل، ثم كتب (ره): (أساس الإصلاح في العالم هو القيام لله وأساس الفساد والمشاكل في العالم هو القيام للنفس)، ثم قال (ره): (إن القيام للنفس سبب أن السفور والإباحية الأخلاقية والفساد ينتشر في الأوساط الإسلامية. إن القيام للنفس سبب أن فلسطين تغتصب منا) فربطه بالواقع (إن القيام للنفس سبب أن الحكومات الاستبدادية تتسلط علينا فإذا قمنا لله يتغير الأمر) طبعاً من أين أخذ الإمام هذه الكلمة؟ (القيام لله...)؟ من القرآن، من المعارف الإسلامية، هذا صحيح لكن في لغة العرفاء، إذا راجعنا كتاب (منازل السائرين) مثلاً حيث إن الإمام كان يدرس العرفان النظري والعرفان العملي، هناك عشرة أبواب في البداية، الباب الأول يسمى باب اليقظة، في باب اليقظة يذكرون هذه الآية، آية القيام لله، ثم أساس وبدء الحركة ينبغي النهوض من سبات الغفلة، الإمام وظّف هذه الآية العرفانية التي تتعلق باليقظة من الغفلة في السلوك الفردي العرفاني إلى يقظة المجتمع ويقظة العالم في المجال السياسي والاجتماعي، فربط بين العرفان والسياسة، وجعل العرفان هو الأساس للحركة السياسية والاجتماعية، فمفتاح شخصية الإمام هو القيام لله على ضوء المعرفة الكاملة للإسلام والشعور بالمسؤولية لهداية المسلمين، والمحاولة الجادة التطبيقية لحاكمية الإسلام والدين هذا الذي جعل الإمام - في الواقع - يتحول شيئاً فشيئاً إلى إمام الأمة في عصر الغيبة.

الإمامة عندنا إمامة بالأصالة وإمامة بالنيابة، فالإمامة بالأصالة هم الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، والإمامة بالنيابة في عصر الغيبة تكون للمجتهد الكفوء الجامع للشرائط، المؤهل لقيادة الأمة، الإمام وجدت فيه صفات، هذه الصفات جعلته بمستوى إمام الأمة، تعترف به الأمة الإسلامية، ويقود المجتمع قيادة حقيقية، طبعاً هذه المواصفات نستطيع أن نلخصها أيضاً بكلمة مفتاحية أخرى وهي الرشد، الرشد والمؤهلية على مستوى إمامة الأمة، الشهيد المطهري (ره) يقول: (الرشد هو العنوان الجامع لصفات القائد الرباني) والشهيد الصدر (ره) يعبر عن مصطلح (المرجعية الرشيدة) كلمة (الرشيدة)، ويقول في رواية عن الإمام الباقر (ع): (إن حبنا أهل البيت إيمان وبغضنا كفر) يعني يؤدي إلى الكفر، بل هو كفر نصب؛ لأنه عداء لأهل البيت. ثم قرأ الإمام (ع) الآية الشريفة: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضَلَّأَ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^١ فالأئمة هم الراشدون، هذا الرشد عنوان جامع. طبعاً إذا أردنا أن نحلل كلمة (الرشد) الموجودة في شخصية الإمام بتمام معنى الكلمة. الرشد بمستوى قيادة الأمة، هذا الرشد هو في ثلاث جوانب:

- ١- الجانب الأول: الرشد العلمي على مستوى معرفة الإسلام بشكل كامل.
- ٢- الجانب الثاني: الرشد التقوائي يعني العدالة والتقوى بمستوى قيادة الأمة، يعني عدالة وتقوى على مستوى يلهمه الله مصلحة النوع.
- ٣- والجانب الثالث: الرشد الإداري والسياسي الذي يعبر عنه بالكفاءة،

^١ سورة الحجرات، الآية: ٧ و ٨.

كفوء في قيادة الأمة، طبعاً إذا رأت الأمة شخصاً بهذا المستوى يمتلك من الرشد ويقودها قطعاً تنساق إليه، إذا أردنا أن نعبر تعبيراً آخر - أذكره لكم - بالنسبة لهذه المواصفات في نهج البلاغة أمير المؤمنين (ع) في خطبة له يقول فيها: (إن أحق الناس بهذا الأمر) يعني أمر إمامة الأمة وقيادة الأمة ليكون قائداً مقداماً والأمة تتأسى به (إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه) القوة والتمكن والعلم بأمر الله بشكل كامل، ثم العلم بأمر الله، بأي شيء؟ العلم بأمر الله بما يرتبط بقيادة الأمة (أعلمهم بأمر الله فيه) يعني من أراد أن يتحول إلى أسوة كاملة بمستوى قيادة الأمة ينبغي أن يمتلك قوة وكفاءة وعلم، نسميه علم الإمامة الإلهية، ليس علم الإمامة بمعنى أنه بحث الإمامة في العقائد، علم الإمامة يعني أن يعرف كيف يقود الأمة، ويأخذ بزمام أمرها إلى الأمام، كما يقول أيضاً أمير المؤمنين (ع) في خطبة أخرى: «وَلَا يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ إِلَّا أَهْلَ الْبَصْرِ وَالصَّبْرِ وَالْعِلْمِ بِمَوَاضِعِ الْحَقِّ».

فالإمام الخميني قده كانت عنده بصيرة ورؤية ثابتة جداً فيما يرتبط بالتوحيد والمعارف الإلهية، وفيما يرتبط بوضع الأمة، والإشكاليات الموجودة، وفيما يرتبط بنهضة الأمة ورفع الهمم، وكيفية إيصال الأمة إلى ساحل النجاة، وإلى المسيرة النهائية التكاملية، هذه البصيرة والصبر يعني المقاومة وعدم التراجع، الصبر بمستوى الأهداف العالية المنشودة، والعلم بمواضع الحق يعني به المصداق الخارجي، وأنه لا يرتكب أخطاءً، بعبارة أخرى نقول: من الناحية النظرية هو بصير، ومن الناحية العملية مقاوم ويشخص المصدايق بشكل صحيح، فهذه أمور جعلت منه أن يكون قدوة.

كان الإمام الراحل قده يبين هذه الأهداف بلغة فطرية واقعية حقيقية تلمس الأمة حقيقة كلماته (ره) في وجودها بسلسلة الموضوع، يفهم كلامه

العامي الذي يعيش بثقافة عامة، وكذلك يفهم كلامه الفيلسوف، والعارف، والأستاذ الجامعي، والأستاذ الحوزوي، كل المستويات من شرائح المجتمع - شباباً وكهولاً، ذكوراً وإناثاً، بل وحتى الفلاسفة والأساتذة والأميين - يعرفون لغة وكلمات الإمام؛ لأن لغة الإمام لغة فطرية، ولغة حقيقية، ولغة واقعية، الكل يعرف ماذا يريد الإمام من خلال كلماته النيرة الواضحة، البعيدة من التكلف؛ لأنه لا يتكلم بلغة المصطلحات - الفلسفية أو الفقهية أو الحوزوية - أو أمور على هذا المنوال، بل كان يخاطب الأمة بلسان: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾^١ ولهذا كانت الأمة تعرف ماذا يريد الإمام، وهذا على جانب من الأهمية.

النقطة الثانية: إضافةً إلى الكلمة والتي تعبّر عن القول السديد الإلهي كما يقال: (كل ما يخرج من القلب بصدق ينفذ إلى القلب المقابل)، لهذا فقد كانت الأمة تحس بكلمات الإمام - في الواقع - أنها تخرج من القلب وتنفذ في القلب، هذه حقيقة. لذا فقد وجدت الأمة ضالتها عند الإمام الخميني، لما يحمله من إيمان راسخ، ولغة فطرية واضحة وسهلة.

ثم إن الإمام الراحل كان يثق بالشعب ويؤمن به، لكنه في نفس الوقت كان يعرف ويشخص العوائق والموانع الموجودة ويقول: (أنا ألمي في الأطفال الذين يوجدون في الروضة وفي الابتدائية) وبالفعل خطط لمدة (١٠ سنوات) أو أكثر فأصبح هؤلاء الشباب الذين كانوا في الروضة والابتدائية قادة ومسؤولين، تمكنوا من قيادة الثورة والاستمرار بها بنفس وصبر طويل.

^١ سورة القمر، الآية: ١٧.

في بداية الأمر لم يكن الإمام الراحل رحمه الله قد خطط لمشروع سياسي، إن مشروع الإمام لم يكن مشروعاً سياسياً بالمعنى الراجح اليوم، مشروع الإمام مشروع إلهي، الهدف منه بكلمة مختصرة وواحدة هو تطبيق الإسلام والعمل بالتكليف، فكلما كان يقتضي الوقت بتصريح شجاع، فإنه يصرح؛ لأنه من مصاديق قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾^١ فقد كان لا تأخذه في الله لومة لائم، وبالمناسبة - لكي نستفيد من القرآن الكريم أكثر فأكثر - إذا أردنا أن نتحدث عن المؤهلات القيادية لشخصية الإنسان الرسالي على ضوء الإقتداء برسول الله (ص)، فهذا القائد الرسالي النموذجي ينبغي أن يتمتع بصفات قيادية، هذه الصفات بأجمعها كان يتمتع بها رسول الله (ص) والإمام حاول أن يطبق هذه الصفات. نذكر على سبيل المثال أموراً من هذه المؤهلات، أولاً: أن يكون من أهل الصلاة والتهدج والعبادة والدعاء والتوسل والارتباط الحقيقي مع الله سبحانه وتعالى، ليكسب الإمداد الإلهي، الله تبارك وتعالى يقول لرسوله الأعظم ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾^٢ فهذا الأمر لرسول الله ماذا يعني بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾؟ هذا يعني أن المعلم الأول رسول الله (ص) وهو يدل أيضاً على أهمية الصلاة. أو فيما يرتبط بصلاة الليل ففي قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا سَأَلْنَاكَ عَلَيْكَ قَوْلًا تَقِيلاً* إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْناً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾^٣ المسؤولية

^١ سورة الأحزاب، الآية: ٣٩.

^٢ سورة طه، الآية: ١٣٢.

^٣ سورة المزمل، الآية: ٥ و ٦.

الكبيرة الإلهية تستدعي الارتباط الأكثر مع الله، كلما كانت مسؤولية الإنسان أكبر ينبغي أن يكون ارتباطه بالله والدعاء والتوسل أكثر، وهذه قاعدة، بحيث يصل إلى مرتبة الانسلاخ من الماديات، وأن يتحول إلى شخصية روحانية، هذا العنصر الأول. ثانياً: القائد الرسالي ينبغي أن يكون مخلصاً، يعمل لله تبارك وتعالى، وهو يختلف عن القائد المادي الذي يعمل من أجل السلطة، القائد الإلهي يعمل لله، يفكر في التكليف مهما كانت الأمور، فكما قرأنا في الآية الشريفة: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفَرَادَى﴾^١ أو ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾^٢ أدعو إلى الله لا إلى النفس، هذا هو الإخلاص.

العنصر الثالث: البصيرة، فكما قلنا يدعو إلى الله، لكن لا يمتلك خطة شاملة، ليس لديه خارطة طريق، فهذا يدل أن يفيد يضر، حتى لو كانت نيته صادقة، فهو يضر لا ينفع، لذلك قال تعالى (على بصيرة) والإمام كانت عنده هذه البصيرة، هذا ثالثاً. رابعاً: سعة الصدر، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ* وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾^٣ وقوله تعالى ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾^٤ هذا هو العنصر الرابع. العنصر الخامس: تحمل الأذى، وربما كان من الداخل قبل الخارج، أقصد من المحيط الداخلي، والإمام الخميني قُلُوبٌ تحمل الأذى من المحيط الذي كان يعيش فيه، ولما كان يدرّس الفلسفة قد

^١ سورة سبأ، الآية: ٤٦.

^٢ سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

^٣ سورة الشرح، الآية: ١ و ٢.

^٤ سورة طه، الآية: ٢٥ و ٢٦.

واجه أعنف وأقسى صنوف الأذى من المحيطين به، فإنه يُنقل عنه: أن ابنه السيد مصطفي كان إذا شرب الماء من قدح ما، كان البعض يأتي ويغسل هذا القدح بحجة أن أباه يدرّس الفلسفة، والذي يدرّس الفلسفة فهو كذا وكذا. الله تبارك وتعالى يخاطب الرسول الأعظم فيقول عز وجل: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾^١ واصبر على أذاهم، أو ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾^٢ الإمام كان مصداقاً واقعياً في تطبيق هذه الآيات، هذا خامساً. سادساً: التحلي بالأخلاق، وهذه من مؤهلات القائد الرسالي، القرآن يخاطب الرسول الأكرم (ص) بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^٣ و ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^٤ والرسول الأعظم (ص) يقول: (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن سعوهم بأخلاقكم) فالإمام الراحل إضافة إلى أنه كان ذو حزم وقوة في نفس الوقت كان ليناً ورؤوفاً ورحيماً، هذا سادساً. النقطة السابعة: وهي نقطة مهمة للقائد، أن يكون من أهل المشورة، أي يشاور الآخرين، والقرآن الكريم يعلمنا المشورة فيقول عز وجل: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾^٥ و ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^٦ الإمام كان في سلوكه وفي مسيرته - في الواقع - كان يستفيد من مشاورة الآخرين، ويعمل طبق استشاراتهم، كما كان

^١ سورة المزمل، الآية: ١٠.

^٢ نفس الآية.

^٣ سورة القلم، الآية: ٤.

^٤ سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

^٥ سورة الشورى، الآية: ٣٨.

^٦ سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

الرسول الأعظم (ص) يستشير الآخرين ويعمل بمشورتهم، هذا سابعاً. ثامناً: الاهتمام في تربية الكوادر، ففي قوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾^١ أو الاعتناء بهذه الكوادر، جاء في القرآن في قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^٢ الإمام أيضاً كان لديه كوادر يعني بهم يكاثبهم يرأسلهم يعلمهم وهم تلاميذ الإمام الخميني (ره)، الإمام ما كان يدرّس التلاميذ فقط فقه وأصول وعرفان وفلسفة، بل كان يريهم، واقعاً كان مربياً لهم، لذلك فتلاميذه بعد ارتحاله إلى الملكوت الأعلى هم الذين ملكوا زمام الأمور، واتبعوا وطبقوا كل وصاياه، ومن جملة ما يدخل ضمن مصداق التربية أن من الكوادر من قد يرتكب أخطاء فالقائد والمدير الرسالي ينبغي أن يفيض النظر عن الأخطاء، بل يدعو إلى هذا الشخص حتى يستقيم ويلتفت إلى أخطائه. الآية الشريفة تحاطب الرسول الأعظم: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾^٣ الآية الكريمة تذكر مسألة التوسل وما يرتبط به، وصحة التوسل، وهذا الاستدلال صحيح، لكن أصل الآية أنها نزلت بخصوص مسألة التمرد، أعني تمرد الأصحاب عن طاعة الرسول، عن طاعة القائد، وكيف كان القائد يعاملهم؟ وهذا بحد ذاته ظلم للنفس في حال التمرد عن طاعة الرسول، والإمام الراحل قده كان كذلك، ففي الوقت الذي لا يسمح لخواصه

^١ نفس الآية.

^٢ سورة الفتح، الآية: ٢٩.

^٣ سورة النساء، الآية: ٦٤.

وكوادره أن يتجاوزوا الخطوط الحمر التي يرسمها لكنه كان يجعل مجالاً للعودة والتصحيح، هذا ثامناً. النقطة التاسعة: الإمام انطلق إلى الأمة وخاطب الأمة والجمهور، واعتمد على الجمهور، وحاول بدلاً أن يعتمد على الأحزاب والجمعيات السياسية والكيانات أو الشخصيات في أن يساعده فإنه انطلق إلى الجمهور إلى القاعدة العريضة، وبالمناسبة للإسلام العزيز والرسول الأكرم (ص) لو لم تكن هناك حالة تناغم بين الخطاب الإسلامي والرسالي والجمهور لما انتصر حتى الإسلام، وهذا يعني أن الرسول الأكرم (ص) من دون مساعدة الناس لا ينتصر، نعم، مساعدة الله هي الأولى كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾^١ لكن الله عز وجل هو يقول في كتابه الكريم: ﴿هُوَ الَّذِي آتَىٰكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾^٢ و ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^٣ الجمهور مهم جداً من هذه الناحية، المؤمنون، القاعدة الإيمانية، فلو لم تكن بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية، واستقبال أهالي المدينة لهذا الدين والرسول لما تأسست دولة في المدينة، الرسول الأكرم بقي ثلاثة عشر سنة في مكة كم شخص آمن بالرسول؟ الثلاث سنوات الأولى من الدعوة السرية إلى قبل هجرة الرسول الأكرم مجموع الذين آمنوا ١٥٠ شخصاً، بحيث اضطر الرسول الأكرم أن يذهب إلى الطائف، وفي الطائف واجهوه، فصارت الانطلاقة في المدينة، لماذا في المدينة؟ لأن أهل

^١ سورة الأنفال، الآية: ١٠.

^٢ سورة الأنفال، الآية: ٦٢.

^٣ سورة الأنفال، الآية: ٦٣.

المدينة قبلوا وانفتحوا على الدين والرسول(ص) فلو لم يفتحوا على الدين والرسول(ص) لما انتصر، هكذا كان الإمام الراحل(ره) في ظروف كان فيه الشعب الإيراني لم يتمكن في أن ينتفض بانتفاضة عارمة كبيرة، في ١٠ خرداد اعتقلوا الإمام، ثم نفوه إلى تركيا أولاً، بعدها إلى النجف، كان هناك نضال وحرارة ولكن ليس بالمستوى المطلوب، إلى أن تم اغتيال الشهيد السيد مصطفى الخميني(ره) وتوجيه الإساءة للإمام الراحل من قبل جريدة اطلاعات، والجرائم التي ارتكبتها جهاز السافاك عندها انتفض الشعب في قم المقدسة في تاسع عشر من شهر ذي، ثم على أثر شهداء سقطوا في قم حدثت قضية الأربعينيات، أربعينية تبريز، والأربعينات الأخرى، مسلسل الأربعينيات والانفتاح الجماهيري، المظاهرات الصاخبة الكبيرة، هي التي أسقطت الشاه وانتصار الإمام الراحل. فقد كان عنده ثقة بهذا الجمهور، وهذا أيضاً إحدى المؤهلات القيادية ومن أساليب الانطلاق والاعتماد على الجمهور، القائد إذا لم يعتمد على الجمهور لا ينتصر، الجمهور مهما كان عنده من إشكاليات على القيادة ينبغي أن تصلح هذه الإشكاليات، ولا تنعزل عن الجمهور، هذه قاعدة أخرى من قواعد عمل الإمام الراحل(ره). النقطة الأخرى التي نذكرها في المؤهلات القيادية، هي: الجانب الإداري المالي للمؤمنين، الإمام في الجانب الإداري المالي كان قوياً جداً، فقد وظّف كل الوجوه والأخماس والزكوات من أجل خدمة الدين عن طريق شبكة اجتماعية، أذكر مثلاً: عندما ارتحل السيد البروجردي(ره) وصار الأمر إلى من يكون مرجعاً بعده؟ بعض العلماء فتحوا مكاتباً للمرجعية، الإمام لم يفتح مكتباً، ولم يسمح لأحد أن يفتح مكتباً للمرجعية ولم يسمح لأحد أن يطبع له رسالة عملية، وعندما كان بعض المؤمنين يأتون إليه بالخمس لا يقول لهم شيئاً إلا كلمة واحدة

وهي (وفقكم الله لمرضاته) فإذا كان واجبك أن تقدم الخمس فأنا واجبي أن آخذ الخمس كأمانة أصرفه في سبيل الله في الطريق الصحيح، وبلا منة، إلى أن جاءه ذات يوم مهدي عراقي. استشهد (رحمه الله) فيما بعد، وكان هذا الشخص يعمل في سوق طهران، قد أعجب بشخصية الإمام، فقلّده، والإمام أعطاه وكالة في أن يخمس أهالي سوق طهران عنده، وقد أصبحت عند هذا الشخص أموال كثيرة قال للإمام ذات يوم: ماذا نصنع بهذه الأموال؟ قال: وزعها على هيئة أمناء المساجد في طهران، وزع هذا الشخص الأموال على هيئة أمناء المساجد في طهران، ثم قال له: إذن فماذا نصنع فيما بعد؟ قال: له الإمام شكلوا واعقدوا جلسات مشتركة في المساجد، شكلوا هيئة تنسيق وتعاون، قال: ما شاء الله ماذا نصنع بعد؟ قال: جلسات قرآن، وماذا بعد؟ الإمام أخذ يعين لهم معلمين، طلبوا فيما بعد ممثلاً عنه هذه الهيئات في مساجد طهران للانطلاق بعمل تبليغي وإرشادي لإيجاد حالة تغيير في الناحية الدينية في طهران، الإمام عين الشهيد مطهري والشهيد بهشتي والمرحوم الشيخ الأنواري ممثلين ووكلاء عنه في هذه الهيئات التي عرفت فيما بعد باسم هيئة المؤتلفة الإسلامية، وصارت هي الأساس للحركة الدينية لمواجهة الشاه، الآية الشريفة تقول: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾^١ طبعاً الإسناد المالي للإمام كان الجمهور، فعن طريق الجمهور المؤمن وأداءً للواجب الشرعي المقدس كان الإمام يعتمد على هذا الجانب، وهذه نقطة مهمة أيضاً، مضمون خطاب الإمام الراحل الديني يركز

^١ سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

على عنصرين أساسيين: كتاب الله والسنة المطهرة من جانب وعتره أهل البيت (عليهم السلام)، وقد ذكر هذا الإمام في وصيته مستشهداً بحديث «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي»^١.

إضافة إلى هذه المواصفات التي ذكرناها الإمام كان شجاعاً مقداماً، حقيقةً جسّد الآية الشريفة: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾^٢ ما كان يخاف أحداً إلا الله، كان مستعداً للتضحية والفداء، كان مستعداً للشهادة، كم مرة وصل الإمام إلى نيل مرتبة الشهادة في سبيل الله لكن شاءت الأقدار أن يبقى حياً؛ ليقود الأمة، ويشكّل أكبر دولة، طبعاً القائد المؤهل إذا كانت عنده هذه الصفات تنزل الإمدادات الإلهية، بحيث يكون بمستوى أن الإمدادات الإلهية والغيبية تنزل عليه كما قال تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^٣ فهذه هي شخصية الإمام ومؤهلاته التي جعلت منه قدوة وأسوة، طبعاً اقتداءً برسول الله والأئمة الأطهار، فسلام الله عليه.

* القربة إلى الله في العمل السياسي لدى الإمام قُدِّسَ:

قبل أن أشرع في الكلام لا بأس بإعطاء توضيح بالنسبة لمسألة القرب إلى الله، وهو: أننا عندما نتحدث عن القرب إلى الله لا نقصد به القرب في

^١ إكمال الدين: ١٣٧.

^٢ سورة الأحزاب، الآية: ٣٩.

^٣ سورة محمد، الآية: ٧.

الجانب العبادي بالمعنى الأخص، أقصد في الصلاة والصوم والحج وما شاكل ذلك من الأمور العبادية، بل إننا نقصد القرب إلى الله أنه يستوعب جميع مساحات الحياة وفي كافة الأصعدة، فالعمل السياسي والاجتماعي للإمام الراحل عليه السلام كان يتسم بطابع القرب إلى الله، وهو إذ يقول: (والله إن سياستنا كلها أخلاق وكلها من أجل الأخلاق) ليس للسلطة بما هي سلطة، وهذا الكلام هو بحد ذاته تجسيدا ومصدقا لقول أمير المؤمنين (ع): «اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ الَّذِي كَانَ مَنَّا مُنَافِسَةً فِي سُلْطَانٍ، وَلَا أُلْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فَضُولِ الْخَطَامِ، وَلَكِنْ لِنَرْدِ الْمَعَالِمِ مِنْ دِينِكَ، وَتُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ وَتُقَامَ الْمُعْطَلَّةُ مِنْ حُدُودِكَ. ... ولكي تُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ»^١ الهدف هو القرب من الله، ثم إذا كان الهدف هو القرب إلى الله فهذا يعني أن الهدف هو الوصول إلى الكمال، وهذا الهدف يهيمن على جميع مساحات العمل للقائد وللأمة، والإمام هكذا كان، أذكر هذه الآية الشريفة بالمناسبة حتى نعرف مساحة العمل الصالح كم هو، ففي قوله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^٢ و﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ

^١ بحار الأنوار، ج: ٣٤، ص: ١١١ باب الفتن التي وقعت في زمان الإمام

علي (عليه السلام).

^٢ سورة التوبة، الآية: ١١٩.

صالح^١ أي إذا كان الإنسان يتبَّه القرب إلى الله فحتى العطش التعب الفقر المشاكل المحن والآلام وحرقة القلب لنصرة الإسلام، أو التصريح بكلمة تغيظ أعداء الإسلام والدين، فأبي محاولة جادة من أجل نصرة الدين تتحول إلى عمل صالح، والقرب إلى الله يرتبط بالهدف، ولا نقصد به القرب المكاني، أو الزماني، أو الاعتباري، بل القرب الحقيقي، والقرب الحقيقي إنما يوجد إذا كانت هناك أهداف إلهية، وأهداف الإمام الراحل كانت أهداف إلهية ومواجهته للطاغوت كان من أجل الدين والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدفاع عن الإسلام وعن المسلمين، فهذا الأمر هو الذي كان مهيمناً على وجود الإمام وشخصيته قده، لذلك فالمبادئ السياسية للإمام هي مبادئ عرفانية كما قلنا، فمثلاً إذا أردنا أن نستفيد من مصطلحات العرفاء على سبيل المثال مدرسة ملا صدرا يذكرون أسفاراً أربعة، والإنسان يسير هذه الأسفار الأربعة.

السفر الأول: هو سفر من الخلق إلى الحق، يعني الخروج من عالم الكثرة وعالم المادة والانعزال حتى يعرف الحق تعالى، وهذا يسمونه السفر الأول.

السفر الثاني: سفر في الحق بالحق، يعني أن ينغمر في أجواء القدس الإلهي والنفحات الروحانية، ويكون منعزلاً تماماً عن الأجواء الاجتماعية والتكاليف الأخرى، وهذا هو السفر الثاني.

السفر الثالث: هو سفر من الحق إلى الخلق، والإنسان في هذا السفر يصل

^١ سورة التوبة، الآية: ١٢٠.

إلى مرتبة متكاملة إلهية يرجع إلى خلق الله ليخاطبهم ويهديهم.

السفر الرابع: سفر في الخلق بالحق، في الحق بالخلق، هو مع الخلق لكن مع الحق، اجتماع الوحدة والكثرة، طبعاً عند ما نقول هذه الأسفار الأربعة المعنوية فهي ليست مثل الأسفار المادية من نقطة إلى نقطة وتكون خاضعة لبعض قوانين المادة كالمسافة والزمن ونقطة ابتداء وانتهاء، كلا، هذه الأسفار المعنوية الأربعة تنطوي بعضها مع بعض في الشخصية المتكاملة، لكن البعض لا يستوعبون هذا الأمر يظنون القرب إلى الله بمعنى الانعزال عن المجتمع والابتعاد عن كثير من القضايا، الإمام الراحل كان قربه إلى الله يأتي عن طريق خدمة الدين، وحماية الناس وخدمتهم ودفع الأذى عنهم ومواجهة الطواغيت والدخول في ميدان السياسة.

والعرفاء يسيرون في السفر الأول والثاني ويتوقفون، لكن الإمام الراحل قد سار وطوى الأسفار الأربعة كلها.

* (الثقة بالنصر وتخصية الإمام) قدس سره:

بالنسبة إلى مسألة الثقة بالنصر ناجمة من الاعتماد على الله تعالى، هذه هي القاعدة العامة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^١ الإمام الراحل في بداية نهضته - وعندما اجتمع مع العلماء والمراجع - بعث إلى الشاه رسائل حذره من حذف الإسلام في الانتخابات البلدية، حيث كان يهدف الشاه إلى إقصاء شرط الإسلام في الانتخابات

^١ سورة محمد، الآية: ٧.

البلدية مما يسهل دخول البهائيون وغيرهم للمشاركة في الانتخابات، وكما هو المعروف من دكتاتورية الشاه فإنه رفض الانصياع إلى هذا الأمر، الإمام من جانبه أكد أن هذا العمل خلاف الشرع والدين، لكن الشاه بقي مصرّاً ومتمزتماً برأيه، مؤكداً أنه إذا انصاع هذه المرة فإنه سوف ينصاع مرة ثانية وثالثة ورابعة.

الإمام عندما يتقن من عدم تغيير الموقف وأن الشاه متمزت في موقفه قال كلمته الفاصلة هي أن الشاه حفر قبره بيده، وهذه الكلمة تؤول إلى زواله وسقوطه، في تلك اللحظة يتقن الإمام أن هذه الحكومة تريد القضاء على الإسلام، الشاه يجب أن يرحل، وكان واثقاً برحيل الشاه، هذه نقطة. والنقطة الثانية أذكرها لكم نقلاً عن سماحة السيد حسن نصر الله، ربما قد سمعتموها ولعل الجمهور قد سمعها، يقول: عند اجتياح الكيان الصهيوني للبنان أتينا بوفد علمائي في بداية الأمر للقاء الإمام الراحل ليبين لنا ما هو تكليفنا وماذا نصنع؟ يقول قال لنا كلمة بسيطة: ارجعوا إلى لبنان واعملوا: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ فظننا أن الإمام يريد أن يشجعنا، خرجنا بهذه الفكرة، وهي فكرة التشجيع، لكننا لم نكن نعلم حقيقة ومغزى هذه الكلمات، يقول: عندما بدأنا بالعمل واستمر العمل وجاءت الانتصارات وصلنا إلى هذه النتيجة، وصلنا إلى عمق كلمة الإمام، وأن الحقيقة هي في كلمة الإمام، هذا يدل على ثقة الإمام بالنصر الإلهي ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^١.

^١ سورة غافر، الآية: ٥١.

طبعاً الثقة بالله كما يقول الإمام الجواد (ع): «الثقة بالله ثمن لكل غال وسلم لكل عال» الثقة بالنصر ضريرببها تحمل المشاق ودفع ثمن باهظ، النصر لا يأتي بشكل تلقائي من دون عناء ومشقة النصر ليس لقمة سائغة وسهلة، النصر يأتي عن طريق الصمود والتضحية والفداء، الإمام كان واثقاً بالنصر لكن مع الجهاد والدفاع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحقيق عوامل النصر، ثم (سلم لكل عال) هذه الثقة بالله تتحول تدريجياً إلى التقدم والرقى والنصر.

* (أسلوب الشرج الصاعدي في عمل الإمام) قدس سره مع (أعدائه) (الغمام):

سئل الإمام ذات مرة منذ متى صممت على مواجهة الشاه والمطالبة بإسقاطه؟ فقال الإمام: أنا في كل مرحلة كنت أفكر بالتكليف، ماذا يملي عليّ التكليف؟ طبعاً كانت المواجهة مع الطاغوت في حالة تصاعدية فكلما كان الطاغوت يصعد في مواجهته كان الإمام يصعد أكثر؛ لأن التكليف كان يملي عليه هكذا، ما كان الإمام يتراجع إلى الوراء أو يتزلزل أو ينهزم، ربما هذه الثقافة التصاعدية في الجهاد والعمل مأخوذة من المنهج القرآني والمنهج النبوي، أذكر لكم مثلاً: في غزوة أحد عندما ترك الرماة الواجب الملقى على عاتقهم من قبل القائد الأعظم الرسول الأكرم (ص) ونزلوا من الجبل لجمع الغنائم، عندها وقعت الانتكاسة والهزيمة في المعركة، فنزلت الآية الشريفة المباركة في مقام توجيه اللوم والعتاب لهؤلاء الذين لم يلتزموا بالأوامر الإلهية

فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ...﴾^١ هذا جانب، ومن جانب آخر الآيات الشريفة فيها خطاب لهؤلاء الفارين، وفي نفس الوقت فيها تشجيع لهم على التصعيد وعدم الضعف والوهن كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا...﴾^٢ أي لا يصيبكم وهن ولا ضعف؛ لأن الضعف يؤدي إلى الكآبة والحزن، والحزن يؤدي إلى ضعف، لكن إذا كان لديكم إيمان بالله وثقة بالنصر ينبغي عليكم أن تستمروا وتقاوموا ولا تضعفوا.

إذاً كيف يكون الاستمرار في المقاومة وعدم الضعف والاستمرار في حالة التصعيد؟ القرآن الكريم يُعلّم الرسول (ص) ويعلمنا أيضاً كيف أن نستمر في حالة التصعيد، وأن لا نخنع ونضعف، فعلى سبيل المثال جاء الأمر الإلهي للرسول الأكرم (ص) أن لملم واجمع شمل هؤلاء الجماعة المتبقيين من غزوة أحد واذهبوا إلى حمراء الأسد^٣، أي غزوة حمراء الأسد، وبالفعل ذهب الرسول الأكرم (ص) بتلك المجموعة القليلة المتبقية إلى حمراء الأسد، والمشركون عندما رأوهم ظنوا أن المسلمين جاءهم مدد من المدينة، عندها ولى المشركون وهربوا.

فالتصعيد يسبب هزيمة العدو وتراجعها، لكن التراجع إلى الورا في المواقف يسبب تقدم العدو، فكانت إحدى مبادئ الإمام قده الثابتة أنه كان دائماً يقول: (نحن إذا تراجعنا قدماً إلى الورا العدو يتقدم عشرة أقدام وإذا

^١ سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

^٢ سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

^٣ غزوة حمراء الأسد: هي غزوة حدثت في السنة الثانية للهجرة في منطقة حمراء الأسد، ٢٠ كم جنوب المدينة المنورة، ولم تكن غزوة منفصلة وإنما هي جزء من غزوة أحد.

تقدمنا قدماً العدو يتراجع عشرة أقدام) ، فهذه ثقافة تصعيدية في جميع مواقف الإمام منذ بداية الحركة إلى الانتصار إلى إدارة الدولة، كانت موجودة- مثلاً- في أوج غطرسة أمريكا وفي قبال هذه التهديدات الإمام صعّد مواجهته قائلاً: (إن أمريكا لا تستطيع أن ترتكب أية حماقة، إن القوة الحقيقة لله، وأن جميع قدرات العالم هي قدرات وهمية) هذا هو الإمام، كان لا يتراجع أبداً.

* دور الشهادة في فكر الإمام (عليه السلام):

الإمام كان يتفاعل مع الشهيد والشهادة في سبيل الله تبارك وتعالى من مستويات:

أولاً: كان يرغب في الشهادة.

ثانياً: يعتبر الشهادة هي الوصول إلى القرب الإلهي.

وقد تعرض الإمام للاغتتيال مرتين من قبل الشاه وأزلامه لكن شاء القدر الإلهي خلاف ذلك، مرة عند اعتقاله في سجن (أوين) وأخرى في مكان آخر. الإمام كان يؤبّن الشهداء، مثلاً فلو أردنا أن نعرف قيمة الشهادة في كلام الإمام نجد ذلك في تأبينه لشهداء الإسلام الذين سقطوا فداءً للإسلام ومبادئه وقيمته، وعلى سبيل المثال تأبينه الشهيد مطهري، شهداء المحراب، شهداء صلاة الجمعة، العلماء الأعلام، أو الشهيد الصدر، وعندما أبّن آل الحكيم سمّاهم آل الحكيم آل الشهادة. اهتمامه بالشهيد والشهادة دعاه أن يؤسس جمعية باسم مؤسسة الشهيد، وكان من مهمات هذه المؤسسة تقديم الخدمات لعوائل الشهداء، والترويج لثقافة الشهادة والتضحية والفداء في سبيل الله، ثم أصدر أمراً بتأسيس جامعة باسم جامعة الشهيد لأسر وأولاد

وأبناء الشهداء، وقال: إن أبناء الشهداء هم الذين ينبغي أن يتحولوا إلى قادة إلهيين، وكان تركيزه على الشهيد وثقافة الشهادة في سبيل الله من نواحي عدة، أولاً: قيمة الشهادة في يقظة الجمهور، ثانياً: قيمة الشهادة في القرب إلى الله تبارك وتعالى، وسمو الشهيد وعلو درجاته عند الله وكذلك سمو وشموخ الأمة بهؤلاء الشهداء، ثالثاً: قيمة الشهادة فيما يرتبط بترسيخ روح التضحية والفداء في المجتمع، واستمرار ومواصلة الطريق على خطى الشهداء. رابعاً: ضرورة خدمة الشهيد والشهداء وأسر الشهداء وعوائل المضحين وتكريم هؤلاء العوائل والأسر. والنقطة الأخرى أن نضع من الشهيد قمة ينبغي أن يقتدي به الآخرون، هذه هي ثقافة الإمام الراحل إذا كان المقصود من الشهادة هنا يعني القتل في سبيل الله، لكن إذا كان المقصود من كلمة الشهادة بمعنى الشهادة على الأعمال والقيادة الميدانية للمجتمع كما في الآية الشريفة (بِمَا اسْتُخْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ)^١ فالإمام الراحل قُدِّسَ سِرُّهُ بصفته قائداً ربانياً إلهياً كَانَ مَسْتَحْفَظاً لِكِتَابِ اللَّهِ وَكَانَ شَاهِداً وَشَهِيداً عَلَى الْأُمَّة.

* دور الإسلام (اليوم) في الحركات الاجتماعية:

الحقيقة أن دور الإمام وثقافة الإمام كانت السبب في إحياء الهوية الإسلامية في المجتمعات الإسلامية، وبعث الحياة لهذه الهوية من جديد، يعني أن الشعوب الإسلامية باتت لا تخاف أمريكا ولا الصهيونية، إضافة إلى

^١ سورة المائدة، الآية: ٤٤.

ذلك أن الأمة أخذت تفكر أكثر في إعادة بنائها وإعادة هويتها، أنا أعتقد أن الأمة الإسلامية في الحال الحاضر أمامها أربع خيارات الخيار الأول: هو الاستسلام، الخيار الثاني: هو التخريب والتدمير، الخيار الثالث: هو التفليق والتعمير، الخيار الرابع: الإحياء. طبعاً أقصد من ثقافة الاستسلام استسلام الدول والحكومات، واستسلام النخب والأحزاب والشخصيات، واستسلام الجماهير أمام الثقافة والاقتصاد الغربي، والمعيشة والصناعة والتقنية الغربية. ثقافة الاستسلام تلتخص في كلمة واحدة (لا نستطيع). هم تقدموا علينا ونحن تبع لهم، ثقافة التبعية والخضوع نشاهدها الآن في بعض الكيانات والشعوب، ثقافة التخريب على عكس ذلك، ثقافة التزمّت، ولأنه لا نستطيع أن نصنع شيئاً فينبغي أن ندمر ونخرب، تحت عنوان أن هذه ثقافة جاهلية ينبغي أن ندمرها، ندمر المجتمعات، نكفر المجتمعات وندمرها، كما هو الحال بالنسبة للتكفيريين اليوم، وهو خط متطرف له وجود في عالمنا الحاضر، الخيار الثالث هو التعايش السلمي مع الثقافة الغربية بمعنى قبول المضمون وتغيير الشكل، ويسمى اصطلاحاً: ثقافة الاعتدال. هذا خيار ثالث لا يؤدي إلى شيء، خيار رابع: هو خيار الإحياء، الإحياء الفكري، الإحياء الأخلاقي، الإحياء الاجتماعي، الإحياء الصناعي والإحياء في جميع المستويات والأصعدة، طبعاً فكر الإمام الخميني هو فكر إحيائي كان سبباً في إحياء الأمة، ثقافة الإحياء تلتخص في كلمة واحدة وهي (نحن نستطيع) (نقدر أن نصنع حضارة إسلامية) هذه هي ثقافة الإحياء، ثقافة الإحياء تمر بأربعة عناصر، العنصر الأول: المقاومة، المقاومة الثقافية، نقصد بها على المستوى الثقافي، الاقتصادي، الاجتماعي، السلوكي، الأخلاقي، المقاومة فيما يرتبط بالسياسة، مقاومة في القرار، كل هذه الأمور تكون سبباً في الاستقلال، الحرية، التقدم

والرقي، تحقيق العدالة، العزة والكرامة، المقاومة أحد عناصر الإحياء. العنصر الثاني: البناء، المقاومة تختلف عن التخريب، التخريب يدمر لكن المقاومة سد يمنع تقدم العدو، ثم تأتي وتبني، البناء أيضاً له أقسام، أولاً: البناء الإيماني. قاعدة ترسيخ الإيمان والتقوى. ثانياً: البناء الاقتصادي، الإنتاج والاكتفاء الذاتي. ثالثاً: البناء الاجتماعي وهو عبارة عن تقوية أواصر المحبة والإخاء والرحمة، وتحكيم قواعد الأسرة والبيت الإسلامي، بناء المجتمع والتوجه نحو المحتاجين والمعوزين والضعفاء والمحرومين، ثم عندنا بناء سياسي: نقصد به مقاومة الطاغوت، وبناء كوادر إسلامية تنهض الأمة على مستوى تأسيس دولة، وبالمناسبة الدولة الدينية تجتمع مع الدولة المعاصرة، الدولة الدينية ليست على حساب الدولة المعاصرة، بل من خلال الدولة الدينية نستطيع أن نبني الدولة المعاصرة، إذن العنصر الثاني: البناء، المقاومة ثم البناء، والعنصر الثالث التقدم، ليس فقط أن نبني، ينبغي أن نتقدم ونرقي؛ لكي نكون أقوى من الأعداء، كما يقول أمير المؤمنين (ع): «احتج إلى من شئت تكن أسيره» ثقافة الاستسلام «استغن عن من شئت تكن نظيره» ثقافة المقاومة والبناء «أحسن إلى من شئت تكن أميره» ثقافة التقدم، وبعد التقدم نأتي إلى العنصر الرابع في الإحياء وهو إعادة بناء الأمة الإسلامية وصنع الحضارة الإسلامية، الإسلام قادر على أن يصنع الحضارة الإسلامية الراقية النموذجية ويقدمها إلى البشرية المعاصرة. إذاً فهذه أربع عناصر، نسميها عناصر الإحياء، عنصر المقاومة، عنصر البناء، عنصر التقدم، عنصر إعادة بناء الأمة وصنع الحضارة الإسلامية، ومن هنا أنا أتصور أن الإمام الخميني (ره) مشروعه هو مشروع الإحياء، أي الخيار الرابع.

* مركزية الجمهورية الإسلامية الإيرانية في العالم الإسلامي:

الحمد لله رب العالمين الجمهورية الإسلامية اليوم تبني هذا المنهج الإحيائي للإمام الخميني قده، منهج (نستطيع) و(قادرون)، اليوم الجمهورية الإسلامية قاومت الخيار الغربي وخيار الاستسلام وخيار التخريب، وبنّت وأسست وتقدمت، اليوم الجمهورية الإسلامية تحولت إلى قوة إقليمية في أربع أصعدة، الصعيد الأمني: اليوم الجمهورية الإسلامية لا يتمكن أحد أن يهددها عسكرياً، الصعيد السياسي: عندنا دولة معاصرة مقتدرة جداً وراقية، بحيث تحولنا إلى قوة إقليمية، الصعيد الاقتصادي: رغم ما يقال عن الحصار الاقتصادي لكن البنى التحتية للجمهورية الإسلامية بشكل بحيث إن هذه البنى تستطيع أن تبني الحضارة الإسلامية، وأما على الصعيد الثقافي: اليوم الشباب المسلم في إيران شباب رسالي مؤمن عزيز، يؤمن بإسلامه وبدينه، يعشق أهل البيت (عليهم السلام) يعشق الحسين (ع) يريد أن ينهض ويبدع، على سبيل المثال الطاقة النووية من صنعها؟ الشباب يملكون من العمر (٢٥) سنة، أكثر من (٣٥٠٠) عالم نووي شاب، هذا التقدم والنهوض العلمي والإيماني مدعاة للعجب! بالأمس كان أحد الشباب يقسم لي بكذا وكذا أن اسمح لي أن أذهب للمنطقة الفلانية أجاهد في سبيل الله، وهو حافظ (٢٧) جزء من القرآن، ويقول: (ادع لي بالشهادة) مثل هكذا شباب تربوا في الجمهورية الإسلامية، أو جاءت إلينا عائلة متمولة جداً وقالوا: نحن نقدم لكم ما تريدون من أموال شريطة أن تربوا لنا شباب حزب الله، وأولادنا مستعدين أن نقدمهم جنوداً في سبيل الله، هكذا يفكرون الناس.

* موقع الخواص في حركة وفكر الإمام قده:

طبعاً الخواص والمتقفون سواء في الحوزة أو الجامعة، الإمام قده يعتقد أن مبدأ الحركة والإصلاح والتقدم هو إصلاح الحوزة والجامعة، ووحدة الحوزة والجامعة، والتنسيق بين الحوزة والجامعة، وسعى جاهداً من أجل هذا الأمر، بحيث عمل على التقريب بين الثقافة المؤسساتية الجامعية والمضمون الديني. والإمام قده يعتقد من ناحية عملية أن هذا هو الحل للتقدم والنهوض في الأمة، هذا جانب فيما يرتبط بثقافة الخواص، من جانب آخر كان الإمام قده دائماً يؤكد على الروح المعنوية للخواص بمعنى أن يتحلوا بالروح المعنوية، وكان يؤكد على هذا الأمر «إذا صلح العالم صلح العالم وإذا فسد العالم فسد العالم» أو «قصم ظهري إثنان عالم متهتك وجاهل متنسك» فالإمام قده كثيراً ما يؤكد على أن الخواص الذين يمتلكون زمام الأمور بيدهم سواء كانوا خواص في السياسة، خواص في الثقافة أو الخواص والنخب الاجتماعية أو الخواص العلمية ينبغي أن يتحلوا بروح الأخلاق وتزكية النفس، ويقدم في هذا المجال نصائح كثيرة إذ يقول إذا حصل في هذا الجانب طفرة وخلل لا نستطيع أن نتقدم إلى الأمام. هذه نقطة كان يؤكد عليها بالنسبة للخواص، النقطة الأخرى: أنه في مجال الحكم الإسلامي لا يجوز أن يستنوا أنفسهم عن الآخرين بل يكون حالهم حال البقية في المجال الاقتصادي والمعيشي والالتزام بالقوانين بمعنى أنه لا يجوز إعطاءهم امتيازات وخصوصيات ومسائل خاصة بهم، أو أن يتحولوا إلى طبقة مرفهة وتعيش على حساب الآخرين، أو لأنه من الخواص فينبغي أن تكون حياته خاصة بعيدة كل البعد عن الناس المستضعفين والمحرومين، بل يجب أن يكون حاله حال الآخرين في قبال القوانين وأنها تطبق عليه كما تطبق على الآخرين. الجانب الرابع أنه

كان يؤكد دائماً على المسؤولين بكسب رضا الجمهور وخدمته، والخواص هم محترمون طالما كانوا في خدمة الناس، لا أن الناس يكونوا خدم لهم، والجانب الآخر أنه كان دائماً يحرص على عدم تغلغل ونفوذ الأعداء، أو أن يصيب الخواص التعب والملل والسأم، أو يتراجعوا إلى الورا ولا يحفظوا روح المقاومة والصمود والفداء والتضحية. كان الإمام (رضوان الله عليه) دائماً يؤكد ويقدم النصائح المستمرة التي من شأنها أن تكمل المسيرة.

الفهرس

- مواضع القدوة الصالحة في شخصية الإمام الخميني (قدس سره)..... ٩
- المقدمة..... ١١
- القدوة ودورها في عملية البناء..... ١٢
- عوامل مؤثرة على إرادة الإنسان..... ١٤
- فلسفة القدوة في منهج التغيير الاجتماعي..... ١٧
- القدوة الصالحة والقدوة الفاسدة..... ٢٧
- تأثير الحب والموقع الاجتماعي في القدوة الصالحة..... ٣٠
- مواضع القدوة في شخصية الإمام (ره)..... ٣٣
- روح الله بين رعية الله..... ٣٤
- الزعيم الديني في منهج الفرد العادي..... ٣٦
- ملامح للقدوة الصالحة في المسيرة السلوكية..... ٣٧
- محاولات التسقيط تجاه الإمام..... ٤٤
- تجربتي الخاصة مع الإمام..... ٤٦
- التجربة في النجف الأشرف..... ٤٦
- التقليل من الروتين والمجاملات..... ٤٨
- الأسلوب الجديد في التصدي السياسي..... ٤٩

- ٥٠.....الاهتمام بالعمل الإسلامي في العراق
- ٥١.....التجربة مع الإمام فيما يرتبط بالقضية الإسلامية في العراق
- ٥٢.....توجهات الإمام في الساحة الإسلامية العراقية
- ٦١.....وثائق تحكي العلاقة بين السيد الشهيد الصدر والإمام الخميني رحمهما الله
- ٦٣.....رسائل الشهيد الصدر(ره) إلى الإمام الخميني(ره) وثور الشعب الإيراني
- رسالة الشهيد الصدر إلى رئيس الوزراء بختيار احتجاجاً على إغلاق مطارات إيران لعودة الإمام الخميني.....٦٨
- برقية موجهة إلى الشعب العربي في إيران حينما حاول بعض العملاء اللعب على الوتر القومي ضد الثورة الإسلامية.....٧٢
- السيد الصدر (رحمه الله) يعلن عن الانتصار.....٧٥
- رسالة لأحد أرحامه يتحدث فيها عن نشوة الانتصار.....٨٠
- برقية الإمام الخميني(قدس سره) إلى الشهيد السيد محمد باقر الصدر.....٨١
- جواب السيد الشهيد عن برقية الإمام.....٨٢
- الخميني... موسيقى الملكوت.....٨٣
- عوامل القدوة في شخصية الإمام الخميني.....٨٧
- * القربة إلى الله في العمل السياسي لدى الإمام.....١٠٣
- * الثقة بالنصر في شخصية الإمام.....١٠٦
- * أسلوب التدرج التصاعدي في عمل الإمام عليه السلام مع أعدائه (الشاه).....١٠٨

-
- * دور الشهادة في فكر الإمام..... ١١٠
- * دور الإسلام اليوم في الحركات الاجتماعية..... ١١٠
- * مركزية الجمهورية الإسلامية الإيرانية في العالم الإسلامي..... ١١٤
- * موقع الخواص في حركة وفكر الإمام..... ١١٥